



دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (MOHE)

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية - قسم القرآن الكريم وعلومه

الجدل بين المدح والذم في القرآن الكريم

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه

اسم الباحثة : أمل محمد علي باصهيب

الرقم المرجعي : BA317

تحت إشراف الأستاذ المساعد الدكتور : سيد أحمد نجم

كلية العلوم الإسلامية - قسم القرآن الكريم وعلومه

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

CERTIFICATION OF DISSERTATION WORK PAGE : صفحة التحكيم

تم إقرار بحث الطالب:

من الآتية أسماءؤهم:

The thesis of has been approved by the following:

المشرف على الرسالة Academic Supervisor

السيد محمد العرفي

المشرف على التصحيح Supervisor of correction

د. المتوفى على الشأن بسلام

رئيس القسم Head of Department

السيد محمد العرفي

عميد الكلية Dean, of the Faculty

نادي قبيص لبرون

قسم الإدارة العلمية والتخرج Academic Managements & Graduation Dept

Deanship of Postgraduate Studies عمادة الدراسات العليا

إقرار

أقررتُ بأنّ هذا البحث من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، والنقل والاقتباس من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوعه.

اسم الطالب : -----

التوقيع : -----

التاريخ : -----

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is result of my own investigation, except where otherwise stated.

. -----Name of student:

Signature: -----

Date: -----

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٤ © محفوظة

اسم الباحث هنا

عنوان الرسالة هنا

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب موقع من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه .
- ٢- يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليمية، لا لأغراض تجارية أو تسويقية.
- ٣- يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور؛ إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار: -----.

التوقيع: ----- التاريخ: -----

ملخص البحث

تناول هذا البحث موضوع الجدل بين المدح والذم في القرآن الكريم ويدور الحديث حول :

١ معنى الجدل لغة واصطلاحاً ، وألفاظ مرادفة للجدل (الحوار ، المناظرة ، والمكابرة) وأول من سنّ الجدل ، وأقسامه ، وآدابه ، وخصائصه .

٢ مفهوم الاستدلال ، وأشكال الاستدلال القرآني ، وأساليب بلاغية للجدل القرآني .

٣ محاور الجدل القرآني في العقائد (الجدل في إثبات وجود الله، والجدل في إثبات وحدانية الله والجدل في إثبات الرسالات ، والجدل في البعث والجزاء ، والجدل في التشريعات) .

٤ الجدل في موضوعات مختلفة (جدال ابني آدم ، جدال إبراهيم عليه السلام في قوم لوط ، وجدال بين موسى والخضر عليهما السلام ، وجدال فقير صابر وغني كافر ، وجدال مؤمن آل فرعون مع قومه ، وجدال اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام ، وجدال خولة بنت ثعلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها ، وجدال المنافقين للمؤمنين) .

٥ الخاتمة وتشتمل على النتائج والتوصيات .

Research summary

This research explores the subject of 'Debate' between praise and criticism, in the wholly Qur'an and includes:

- The meaning of debate (in language and idiomatically), words synonymous with debate (dialogue, argument, and discussion, and arrogance) the first how introduced debate, its divisions, and etiquette, and its properties. .1
- The concept of inference, the reasoning in Quranic forms, and the methods of rhetorical debate in the wholly Qur'an. .2
- Categories of debate in the Quranic beliefs (debate to prove the existence of God (Allah) , the controversy in proving the oneness of Allah, the debate in proving the wholly messages, and the debate in the afterlife and the penalty, and the debate in the legislation). .3
- The debate on various topics (the debate between the two sons of Adam, Abraham's debate about the people of Loot, the debate involving Moses and Alkhdher peace be upon them, the debate between a poor patient person and a wealthy disbeliever , the controversy of a believer Pharaoh with his people, debate involving Christians and Jews people with Ibrahim peace be upon him, the debate raised by Khawla daughter of Thalbah to the Messenger of Allah peace be upon him about her husband, and the debate of the hypocrites with the believers). .4
- The conclusion including findings and recommendations. .5

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمته ، أحمده سبحانه وتعالى على ما أكرمني به ووفقي لإتمام كتابة هذه الرسالة ، فله الحمد وله الشكر على ذلك وامثالاً لقوله الحق سبحانه وتعالى : (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)^(١) وامثالاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)^(٢) ، فإني أتوجه بخالص شكري وتقديري وخالص دعائي وامتناني إلى فضيلة الأستاذ المساعد الدكتور / سيد بن أحمد نجم حفظه الله ، الذي تكرم وتفضل عليّ بالموافقة على الإشراف على هذه الرسالة فقد شملني بسعة صدره ، وعظيم صبره ، وكرم أخلاقه ، فجزاه الله عني أعظم الجزاء وأحسنه ، ورفع الله درجته وأعلى شأنه و منزلته وحفظه من كل سوء ومكروه .

كما أتوجه بعظيم الشكر والتقدير لأستاذي الكريمين عضوي لجنة المناقشة ، اللذين تفضلاً بقبول مناقشة هذا البحث ، وتصويب ما فيه من زلل وتقصير .

فضيلة الدكتور /خالد نبوي حجاج .

وفضيلة الدكتور /المتولي علي شحات .

فجزهما الله عني خير الجزاء ، وأبعد عنهما كل عناء ، وحفظهما من كل مكروه ، كما أتقدم بشكري وتقديري لجميع أساتذتي في كلية العلوم الإنسانية ، وأكاديميين ، وإداريين ، لما لهما عليّ من فضل التدريس والتوجيه والإرشاد ، فجزهم الله عني خير الجزاء ، كما أتوجه بالشكر والعرفان لهذا الصرح العلمي الشامخ الذي أسأل الله أن يحفظه من كل كيد ، إلى الجامعة المدينة العالمية التي أتاحت لي الفرصة للالتحاق بها ، لإتمام دراستي العليا فلها موفر الشكر والتقدير .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى عمادة الدراسات العليا بالجامعة ، ممثلة بعميدها وإداريتها فلهم جزيل الشكر والتقدير .

(١) سورة النمل ، من الآية : ١٩ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٣٥ / ٤٤٥ ، رقم الحديث ١٩٥٤ ، حديث صحيح

صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١ / ٧٠١ ، رقم الحديث ٤١٤ .

الإهداء

- إلى والدي الكريمين ، من ألبساني ثوب رعايتهما ، وأغدقا عليّ بأفضالهما .
 - إلى الإخوة و الأخوات .
 - إلى الأعمام والعمات .
 - إلى الأحوال والحالات .
 - إلى جامعتي الغراء – قلعة العلم وحصن العلماء وواحة المتعلمين .
 - إلى كل مرید للخير وداع إليه .
- إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا البحث المتواضع سائلا المولى عز وجل أن يجعله خالص لوجهه الكريم .

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
ب	البسمة
ج	صفحة الإقرار (توصية اللجنة)
د	إقرار
هـ	إقرار باللغة الإنجليزية
و	ملخص البحث باللغة العربية
ز	ملخص البحث باللغة الإنجليزية
ح	شكر وتقدير
ط	الإهداء
ي	فهرس الموضوعات
١	المقدمة
٢	أهمية الموضوع
٢	أسباب اختيار الموضوع
٢	إشكالية البحث
٣	أهداف البحث
٥	الدراسات السابقة
٧	منهج البحث
٨	خطة البحث
١٢	الفصل الأول : مدخل إلى علم الجدل القرآني
١٣	المبحث الأول : مدخل إلى علم الجدل القرآني
١٤	المطلب الأول : معنى الجدل
١٦	المطلب الثاني : الجدل و الحوار والمحااجة والمناظرة
١٦	أولاً : الجدل والحوار
١٦	ثانياً : الجدل والمحااجة

١٧ ثالثاً: الجدل والمناظرة والمكابرة
١٧ المطلب الثالث : في أول من سن الجدل
١٨ المطلب الرابع : أقسام الجدل
٢٠ المطلب الخامس : آداب الجدل
٢٢ المطلب السادس : خصائص الجدل القرآني
٢٨ المبحث الثاني : المنهج القرآني في الاستدلال و المحاجة
٢٨ المطلب الأول : مفهوم الاستدلال
٢٩ المطلب الثاني : أشكال الاستدلال القرآني
٢٩ أولاً : الأقيسة الإضمارية
٢٩ ثانياً : الاستدلال بالقصص القرآني
٣١ ثالثاً : قياس الخلف
٣١ رابعاً : السير و التقسيم
٣٢ خامساً : التمثيل
٣٣ المطلب الثالث : أساليب بلاغية للجدل القرآني
٣٣ أولاً : الاستفهام
٣٤ ثانياً التوكيد
٣٥ ثالثاً : التراكيب الندائية في صيغة الأمر
٣٦ رابعاً : التنكير والتعريف
٣٧ خامساً : الاستدراج

٣٨	المطلب الرابع : الفرق بين المنهج القرآني والمنهج الوضعية
٣٨	أولاً : المنهج القرآني
٣٩	ثانياً : المنهج الوضعية
٤٢	الفصل الثاني : محاور الجدل القرآني
٤٣	المبحث الأول : محاور الجدل القرآني في العقائد
٤٤	المطلب الأول : الجدل في إثبات وجود الله
٤٦	المطلب الثاني : الجدل في إثبات وحدانية الله
٤٦	أولاً : جدال نوح عليه السلام مع قومه
٤٩	ثانياً : إبراهيم عليه السلام
٥٢	ثالثاً : جدال صالح عليه السلام مع قومه
٥٤	رابعاً : جدال لوط عليه السلام مع قومه
٥٦	خامساً : جدال موسى عليه السلام مع فرعون و قومه
٥٨	المطلب الثالث : الجدل في إثبات الرسالة المحمدية وشمولها
٦٤	المطلب الرابع : الجدل في البعث والجزاء
٦٧	المطلب الخامس : الجدل في التشريعات
٦٧	أولاً : جدال المشركين في تحويل القبلة
٦٩	ثانياً : جدال المشركين في الذبائح
٧٣	المبحث الثاني : الجدل في موضوعات مختلفة
٧٣	المطلب الأول : جدال ابني آدم

٧٧	المطلب الثاني : جدال إبراهيم عليه السلام في قوم لوط
٧٨	المطلب الثالث : جدال بين موسى والخضر عليهما السلام
٨٠	قصة السفينة
٨٠	قصة الغلام
٨٠	قصة أهل القرية
٨١	المطلب الرابع : جدال بين فقير صابر وغني كافر
٨٣	المطلب الخامس : جدال مؤمن آل فرعون مع قومه
٨٩	المطلب السادس : جدال اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام
٩١	المطلب السابع : جدال خولة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها أوس ..
٩٣	المطلب الثامن : جدال المنافقين للمؤمنين
٩٦	الخاتمة والتوصيات
٩٧	فهرس الآيات القرآنية
١٠٤	فهرس الأحاديث النبوية
١٠٦	فهرس المصادر والمراجع

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١))^(١).

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار^(٢) .

لما كانت طبيعة الإنسان الجدل ، فلا يكاد يسمع قولاً إلا وينبعث منه داعي الرد كما قال تعالى : (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) ^(٣) ، ولما قضى الله عزوجل الخلاف وأورده إرادة كونية قال تعالى : (لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) ^(٤) ، وكان من لازم الخلاف الجدل والمناظرة والمحاورة ، فلا بد للمسلمين وأهل الحق من سلاح ينصرون به حقهم ويدفعون به باطل المخالفين لهم ، وقد أيد الله أوليائه بما يوجب لهم المجادلة بالحق قال تعالى : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)^(٥).

(١)سورة الأحزاب ، الآيتان: ٧٠، ٧١ .

(٢) أخرجه أبو يعلي في مسنده (٣٤٢ / ١) من حديث ابن مسعود ، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ١ / ٢٨ / رقم الحديث ٥٨٢ .

(٣) سورة الكهف ، من الآية: ٥٤ .

(٤) سورة هود ، من الآيتان: ١١٨ ، ١١٩ .

(٥) سورة الفرقان ، الآية: ٣٣ .

أهمية الموضوع :

إبراز أهمية أسلوب الجدل بين المدح والذم في القرآن ، فالقرآن حينما شجع الإنسان على الجدل وأمره ذلك وفق شروط وضوابط معينة وإجابته عن الأسئلة والإشكاليات التي انتابت وتنتاب الإنسان من حين لآخر وقصّه علينا ما حدث من جدال في الماضي ليعلم الإنسان كيف يكون الجدل وسيلة من وسائل التفكير، والاعتقاد ، والعمل ، وليعلم الإنسان كيف يقنع ويقنع ويتعظ بالتّي هي أحسن ، ويثير فيه طبيعة المواجهة ، ويحرك الإنسان من الداخل ليخرج عن صمته ، ويتعلم كيف يتطلع على النور ، وهنا تكمن أهمية هذا الموضوع وضرورته إلا أن الإنسان للأسف الشديد لم يحسن استغلال هذه الميزة ولم يستغلها بما يعود عليه وعلى غيره بالنفع والصلاح في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة ، فكفر برسالات الأنبياء ، وأنكرها وحاربها ، ولم يتأمل ولم يتدبر مضمون هذه الرسالات ، ولم يكد فكره وعقله في البحث والتنقيب عن قيمتها وأهميتها وضرورتها بل حاربها وتمرد عليها ، وأكثر من هذا هاجم أصحابها وحاول القضاء عليهم وإسكات صوتهم ، ووقف الأنبياء أمامهم يجادلونهم بالطريقة الحسنة ، والمنهج الأنسب ، والعبارات الأوضح ، والكلام البديع البليغ الدقيق السهل الخفيف ، وبما أتو من أخلاق وآداب غير أن هذا الموقف الإيجابي من الأنبياء لم يزيدهم إلا عتوا واستكبارا وإصرارا لما هم فيه وفسادا .

أسباب اختيار الموضوع :

- ١- ميلي إلي الغوص في القرآن ومحاولة استخراج مواضع الجدل بين المدح والذم في القرآن .
- ٢- وأيضا عدم معرفة وفهم كثير من الناس المنهج الصحيح في الجدل القرآني الذي أمر الله به والذي انتهجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم .
- ٣- أننا بحاجة ماسة إلى جملة من الرسائل العلمية تكون في متناول عموم المسلمين على اختلاف ثقافتهم ، وتوسع مداركهم وتعينهم على فهم كتاب ربهم .

إشكالية البحث :

- ما معنى الجدل ؟
- ما هو الفرق بين الجدل والحوار؟
- من أول من سنّ الجدل في القرآن الكريم؟
- اذكر أقسام الجدل ؟
- اذكر آداب الجدل المحمود ؟
- ماهي خصائص الجدل ؟
- ماهي أشكال الاستدلال القرآني ؟
- اذكر بعض الأساليب البلاغية للجدل القرآني ؟
- ماهي محاور الجدل القرآني ؟

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث الحالي إلى:

- ابتغاء مرضات الله عز وجل ورضوانه .
- إبراز عناية القرآن الكريم بموضوع الجدل بين المدح والذم .
- فتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم ، وتزويد المكتبة الإسلامية .

وهناك أهداف تفصيلية أخرى منها :

- بيان معنى الجدل لغة : جدل الجيم والدا ل واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه .
- اصطلاحا : الخصومة والمنازعة في البيان والكلام ، وهو أيضاً المشادة الكلامية ، والمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، واشتداد الخصومة في النقاش ، وهو عبارة عن مرء.
- ٢- كلمة "الحوار" أوسع مدلولاً من كلمة "الجدل" ، باعتبار تضمن الكلمة الثانية معنى الصراع ، بينما نجد الكلمة الأولى تتسع له ولغيره .
- أول من سنّ الجدل الملائكة صلوات الله عليهم .
- ينقسم الجدل إلى قسمين : الجدل المحمود ، والجدل المذموم .
- من آداب الجدل حسن القصد ، والإخلاص شرط في جميع الأعمال ، فلا بد أن يقصد من المناظرة وجه الله وطلب الحق والنصيحة للمسلمين ، استعمال السمات والحسن والوقار محمود استعماله شرعاً بكل حال ، وهو حلية المؤمن وزينته وهي سبب لتأييد الله ، وميل الناس في جهته
- بيان خصائص الجدل القرآن منها مخاطبته لكل الناس حسب مداركهم ، متانته و إحكامه ، الإرشاد و التوجيه و الدعوة بالتي هي أحسن .
- بيان أشكال الاستدلال القرآني كالأقيسة الاضمارية ، والاستدلال بالقصص القرآني ، و قياس الخلف ، والسبر والتقسيم ، و التمثيل .
- من الأساليب البلاغية للجدل القرآني الاستفهام، و التوكيد ، والتراكيب الندائية في صيغة الأمر.
- بيان الفرق بين المنهج القرآني و المناهج الوضعية في الجدل .

- من محاور الجدل القرآني في العقائد الجدل في إثبات وجود الله ، والجدال في إثبات وحدانية الله ، و الجدل في إثبات الرسالة المحمدية وشمولها ، والجدال في التشريعات.
- الجدل في موضوعات مختلفة كجدال ابني آدم ، و جدال إبراهيم عليه السلام في قوم لوط ، جدال بين موسى والخضر عليهما السلام ، وجدال بين فقير صابر وغني كافر ، جدال خولة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها أوس .

الدراسات السابقة:

لقد استفدت من الدراسات السابقة التي أجريت في موضوع الجدل القرآني ، واطلعت على بعض الدراسات السابقة مثل :

أولاً : رسالة " الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته "أ.يوسف عمر لعساكر (٢٠٠٤ - ٢٠٠٥).

وجه التشابه :

اقتبست من بحثه " خصائص الجدل القرآني " ، ومن ناحية مسمى " الأساليب البلاغية للجدل القرآني " .

وجه الاختلاف :

في الأسلوب ، و في بعض الألفاظ . ركز أ. يوسف عمر لعساكر على الجانب اللغوي والإشكالية المطروحة في هذه الدراسة هل يمكن اعتبار الجانب اللغوي حجة أخرى تضاف إلى الحجج التي يستند إليها الأطراف المتجادلة ؟ كيف خدم الجانب اللغوي مضمون الجدل ولإجابة عن هذه الإشكالية وضع عنوان بحثه " الجدل في القرآن خصائصه ودلالته " وقصد بالخصائص الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية (التركيبية) للجدل القرآني ، أما الدلالة فقصد بها مدى خدمة هذه الخصائص لجانب مضمون الجدل بما تدل عليه من دلالات .

حرصت أن أتحدث عن مواضع الجدل بين المدح والذم في القرآن ، وتفسير الآيات تفسيراً علمياً من كتب التفسير المحققة والموثقة .

ثانياً : رسالة " مناهج الجدل في القرآن الكريم " د. زاهر عواض الألمعي.

وجه التشابه:

في ألفاظ " أشكال الاستدلال القرآني " ، و في عناوين " مواضع الجدل في القرآن الكريم " .

وجه الاختلاف :

في الأسلوب ، و في بعض الألفاظ ، و التنوع في المصادر والمراجع ، وتفسير الآيات تفسيراً علمياً من كتب التفسير الموثقة والمحققة .

ثالثاً: رسالة " الحوار في القرآن وتنوع أساليبه " د. سناء محمود عابد الثقفي (١٤٣٤هـ _ ٢٠١٣ م).

وجه الاختلاف :

في الأسلوب ، والألفاظ .

ركزت الدكتورة سناء على أسلوب الحوار ، وأهمية الحوار في عرض القصة ، واقعية الحوار ، وإعجاز الحوار اللغوي ، وأغراض وخصائص الحوار .

أما بحثي فقد ذكرت معنى الجدل ، والفرق بين الجدل والحوار والمحاكاة والمناظرة ، وأقسام الجدل ، وآداب الجدل ، وخصائص الجدل ، وأشكال الاستدلال القرآني ، وبعض الأساليب البلاغية للجدل القرآني ، ومحاور الجدل القرآني في العقائد وفي موضوعات مختلفة .

رابعاً: رسالة " حوار القرآن مع المخالفين أصوله وأساليبه " د. محمود أحمد الزين (١٤٣٢هـ _ ٢٠١١م) . لم اقتبس من هذه الرسالة في موضوع بحثي .

وجه الاختلاف :

في الأسلوب ، و الألفاظ .

ركز الدكتور محمود أحمد الزين على أصول الحوار القرآني وأساليبه مع المخالفين ، ونماذج من الحوار حول قضية التوحيد ، وقضية البعث ، ونماذج متنوعة .

خامسا : " كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم " ناصح الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري المعروف : بابن الحنبلي (٥٥٥٤ _ ٦٣٤ هـ) .

وجه التشابه :

في أول من سنّ الجدل ، و في جدال الأنبياء عليهم السلام للأمم ، في ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه وتعالى .

وجه الاختلاف :

في الأسلوب ، و الألفاظ .

حرصت أن أتحدث عن محاور الجدل القرآني في العقائد وفي موضوعات مختلفة ، وتفسير الآيات تفسيراً علمياً من كتب التفسير الموثقة والمحققة .

فأسأل الله العون والسداد .

منهج البحث :

- اعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائي التحليلي لاستخراج مواضع الجدل بين المدح والذم في القرآن الكريم ، بهدف الوصول إلى المنهج الصحيح الذي أمر الله به ، والذي انتهجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم في القرآن الكريم سواء ما تعلق بالأسلوب أو الغاية .

- استعنت بكثير من كتب التفسير ، و بعض كتب علوم القرآن ، واللغة لإثراء مادة البحث .
- اخترت كتب التفسير الموثقة والمحققة في عرض المادة العلمية .
- عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها مع ذكر رقم الآية واسم السورة .
- خرجت الأحاديث الواردة في البحث .
- توثيق المعلومات المتعلقة بالبحث من مصادرها الأصلية .
- أثبت جميع المصادر والمراجع مع بيانات النشر الكاملة في قائمة المصادر والمراجع في آخر الرسالة بعد ترتيبها أبجديا بحسب لقب المؤلف الأول .
- عملت في آخر البحث فهرسًا اشتمل على ما يلي:

- فهرس الآيات القرآنية .

- فهرس الأحاديث النبوية .

- فهرس المصادر والمراجع .

خطة البحث:

- تشتمل خطة البحث على : مقدمة، وفصلين ، وخاتمة، وفهارس .
- المقدمة : وتمّ فيها بيان أسباب اختيار الموضوع ، وأهمية الموضوع ، وإشكالية البحث ، وأهداف البحث ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث .

الفصل الأول: مدخل إلى علم الجدل القرآني

و يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : مدخل إلى علم الجدل القرآني .

ويشتمل على ستة مطالب :

- المطلب الأول : معنى الجدل .
 - المطلب الثاني : الفرق بين الجدل و الحوار والمحاجة والمناظرة .
 - المطلب الثالث : في أول من سنّ الجدل .
 - المطلب الرابع : أقسام الجدل .
 - المطلب الخامس : آداب الجدل .
 - المطلب السادس : خصائص الجدل القرآني.
- المبحث الثاني : المنهج القرآني في الاستدلال و المحاجة.

و يشتمل على أربعة مطالب :

- المطلب الأول : مفهوم الاستدلال .
- المطلب الثاني : أشكال الاستدلال القرآني .
- المطلب الثالث : أساليب بلاغية للجدل القرآني .
- المطلب الرابع : الفرق بين المنهج القرآني والمناهج الوضعية.

الفصل الثاني : محاور الجدل القرآني .

و يشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : محاور الجدل القرآني في العقائد.

و يشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : الجدل في إثبات وجود الله .

المطلب الثاني : الجدل في إثبات وحدانية الله .

المطلب الثالث : الجدل في إثبات الرسالة المحمدية وشمولها .

المطلب الرابع : الجدل في البعث والجزاء .

المطلب الخامس : الجدل في التشريعات .

المبحث الثاني: الجدل في موضوعات مختلفة .

و يشتمل على ثمانية مطالب :

المطلب الأول : جدال ابني آدم .

المطلب الثاني : جدال إبراهيم عليه السلام في قوم لوط .

المطلب الثالث : جدال بين موسى والخضر عليهما السلام .

المطلب الرابع : جدال بين فقير صابر وغني كافر .

المطلب الخامس : جدال مؤمن آل فرعون مع قومه .

المطلب السادس : جدال اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام .

المطلب السابع : جدال خولة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها أوس .

المطلب الثامن : جدال المنافقين للمؤمنين .

الخاتمة: تشتمل على: أهم النتائج والتوصيات .

الفهارس :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس المصادر والمراجع .

الفصل الأول

مدخل إلى علم الجدل القرآني

و يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : مدخل إلى علم الجدل القرآني .

المبحث الثاني : مناهج منطقية للجدل القرآني .

المبحث الأول

مدخل إلى علم الجدل القرآني

ويشتمل على ستة مطالب :

المطلب الأول : معنى الجدل .

المطلب الثاني : الجدل و الحوار والمحااجة والمناظرة .

المطلب الثالث : في أول من سن الجدل .

المطلب الرابع : أقسام الجدل .

المطلب الخامس : آداب الجدل .

المطلب السادس : خصائص الجدل القرآني .

المبحث الأول

مدخل إلى علم الجدل القرآني

إن القرآن الكريم معجزة خالدة لني الإسلام صلى الله عليه وسلم ، يحتاج العقل البشري في أرقى ما وصل إليه من العلم ، ويتحداه إلى الأبد ، وستظل المعجزة قائمة مستمرة في تحديها وقهرها مواهب البشر إلى يوم القيامة .

فالحجة به ملزمة وقت تنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما أنها ملزمة في كل آن بعده إلى قيام الساعة على حد سواء ، فإن التحدي بالمعجزة القرآنية لم يخص قوم دون قوم ولا أهل العصر الأول دون غيرهم ، فهو معجزة ثابتة خالدة على مر العصور والسنين والشهور ، والتحدي به يفحم أهل كل زمان ومكان والإعجاز فيه قائم في كل عصر ومصر ، قال تعالى: (قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)^(١) .

وجدال القرآن الكريم هو براهينه وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين وإلزام المعاندين في جميع ما قصد إليه من تبيان الحقائق وترسيخها في أذهان الناس .

المطلب الأول : معنى الجدل .

الجدل لغة : جدل الجيم والبدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام^(٢) وجدلت الحبل أي أحكمت فتله وجدلت البناء أي أحكمته ، وقيل الأصل في الجدل الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة^(٣) .

(١) سورة الإسراء، الآية : ٨٨ .

(٢) ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ، مقاييس اللغة ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط ٢ (مصر : مصطفى الألباني الحلبي وأولاده ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) ، ١ / ٤٣٣ .

(٣) الأصفهاني ، أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، د ، ط (مكتبة نزار مصطفى الباز ، د ، ت) ، ١ / ١١٧ .

والجدل : اللدد في الخصومة والقدرة عليها وقد جادل مجادلة وجدالا، والمجادلة : المناظرة والخصومة^(١).

الجدل اصطلاحاً : الخصومة والمنازعة في البيان والكلام^(٢)، وهو أيضاً المشادة الكلامية^(٣)، والمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة^(٤)، واشتداد الخصومة في النقاش^(٥)، وهو عبارة عن مرء^(٦).

-أما مفهوم الجدل من حيث الغاية وما يؤدي إليه هو الإظهار المذاهب وتقريرها^(٧)، والإلزام بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم^(٨)، كما يهدف الجدل إلى تحقيق الغلبة بالدليل والحجة في اتخاذ رأي ما وإسقاط بالرأي المخالف^(٩).

- أما الذين تناولوا الجدل كعلم له آداب وضوابط - كابن خلدون في المقدمة - فيرى أن الجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً ، كل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون صواباً ، ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً وكيف يكون مخصوماً منقطعاً ، ومحل اعتراضه أو معارضته ، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال^(١٠)، وعرفه

(١) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، د . ط (دار المعارف ، د . ت) مادة : جدل ، ٧ / ٥١٧ .

(٢) الألمعي ، زاهر عواض ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د ، ط (مطابع الفرزدق التجارية ، د ، ت) ، ص ٢٠ .

(٣) التومي ، محمد ، الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ، د ، ط (الجزائر : شركة الشهاب) ، ص ١٤ .

(٤) الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ١ / ١١٧ .

(٥) الألمعي ، ، ص ٢٠ .

(٦) الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص ٢٠ .

(٧) الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص ٢٠ .

(٨) الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص ٢٠ .

(٩) التومي ، الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ، ص ١٤ .

(١٠) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : دويش الجويدي ، ط ٢ (صيدا - بيروت : المكتبة المصرية

للطباعة والنشر ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م) ، ٥ / ٤٢٨ .

أيضاً بأنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه ، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره ^(١).

المطلب الثاني : الفرق بين الجدل والحوار والمحاجة والمناظرة والمكابرة.

أولاً : الجدل والحوار .

١ - كلمة "الجدل" أوسع مساحة في حديث القرآن وأسلوبه من كلمة "الحوار" ، فقد أخذ "الجدل" مدلولاً جديداً يوحي بالطريقة التي يتبعها المتناظران أو المتجادلان ، ليفرقا حديثهما أو مناظرتهما بالكلام العقيم ، الذي قد يقترب إلى الترف الذهني .. بما يثيره من قضايا جانبية أو مناقشات لفظية ، تخضع الفكرة إلى متاهات لا يعرف الإنسان كيف ينتهي ، وأين يستقر ؟

ولعل السبب في ذلك ، هو أن "الجدل" تحول إلى صناعة يقصدها الكثيرون لذاتها ، من أجل التدرّب على الأخذ والرد والهجوم والدفاع في مجالات الصراع الفكري ... ليعطل قوة خصمه ، لا ليوصله إلى الحقيقة أو ليصل معه إلى قناعة.

٢ - إن كلمة "الحوار" أوسع مدلولاً من كلمة "الجدل" ، باعتبار تضمن الكلمة الثانية معنى الصراع ، بينما نجد الكلمة الأولى تتسع له ولغيره ، مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب ... ^(٢).

ثانياً: الجدل والمحاجة :

المحاجة استدلال الخصم لإثبات دعواه بما يملك من أدلة وبراهين ، دون إلزام خصمه على اتباع مذهبه وآرائه، بينما الجدل أعم من ذلك ، فإذا تجادل خصمان في قضية ما يحاول كلاً من الطرفين إبراز رأيه باعتباره الأصح ، وأكثر من ذلك يلزم خصمه باتباع رأيه وإلزامه مذهباً لا يقوم به ^(٣).

(١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ٥ / ٤٢٨ .

(٢) فضل الله ، محمد حسين ، الحوار في القرآن قواعده ، وأساليبه ، ومعطياته ، ط ٥ (بيروت - لبنان : دار الملاك ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) ، ص ٥٢ .

(٣) التومي ، الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ، ص ٩ .

ثالثاً : الجدل والمناظرة والمكابرة:

"الجدل" يكون الغرض منه إلزام الخصم ، والتغلب عليه في مقام الاستدلال ، و"المناظرة" يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناظرين فيه ، و"المكابرة" لا يكون الغرض منها إلزام الخصم ، ولا الوصول للحق ، بل اجتياز المجلس ، والشهرة أو مطلق اللجاجة ، أو غير ذلك من الأغراض التي لا تغني في الحق فتياً^(١) .

ويمكن أن تجتمع هذه المعاني في جلسة للمناقشة ولقد يتدعى المتناقشان في المناقشة بغية الوصول إلى الحقيقة ، ويرد في ذهن أحدهما رأي يراه صواباً فيتمسك به ، ويلزم خصمه عليه بالأدلة الدامغة ويراه واضحاً ، ولكن تأخذه العزة بالإثم فيتماذى في لججته وحينئذ يسمى مكابرة^(٢) .

المطلب الثالث : في أول من سنّ الجدل .

أول من سنّ الجدل الملائكة صلوات الله عليهم حيث قالوا : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٣) ، وهذا منهم استدلال بالترجيح والأولوية ، وكان جواب الله لهم بالترجيح أيضاً من جهة أخرى ولهذا لم يرد عليهم قولهم إذ قد علم سبحانه أن الذي ظنوه فيهم ووصفوه به كائن بل عدل الله سبحانه إلى أمر مجمل فقال: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ، من ترتيب خلقي وتدبير صني المحوط بالحكمة الدال على خلقهم ، ورجحت حجة الله سبحانه على الملائكة في مدحهم .

فأما إبليس فهو أول من أظهر الخلاف وركب العناد وسار به في البلاد ، والفرق بينه وبين ملائكة لم يظهر منهم خلاف ولا عصيان ، بل طلبوا بسؤالهم الإيضاح والبيان ، وإبليس أفتى ودل في مسأله فانقطع في مجادلته وخسر في كرتيه وبيان فساد تعليه ، وأزاعته عن الصواب في تأويله ، وأنه قال : (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ

(١) أبو زهرة ، محمد أحمد مصطفى أحمد ، تاريخ الجدل ، ط ١ (دار الفكر العربي ، ١٩٣٤م) ، ص ٥ .

(٢) أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص ٥ ، ٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

وَوَخَّلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ^(١)، ومعناه أن النار جوهر لطيف شفاف له قوة الإشراف وسلطان الإحراق، و الطين جسم مظلم كثيف ، ليس باللطيف ولا الخفيف .

والسجود خدمة يتضمن تعظيم المسجود له والأولى بها الأعلى منهما ، هذا منتهى كلامه ومضمون قوله^(٢). إبليس هو أول من وضع قانون الجدل البدعي وعارض أمر الله بالسجود لآدم بقياس فاسد وشياطين الإنس كذلك سعوا في إفساد العلوم الشرعية بما أدخلوه فيها من جدل بدعي ومنطق يوناني وثني. والمأمون ليس هو أول من أدخل العلوم العقلية الفلسفية الفاسدة ، ولكنه لا شك كان له دور متميز وجهد كبير غير مشكور في ذلك ، وخلط العلوم الشرعية بالجدل البدعي مر بمراحل ولا شك أنه من حين نشأ صارت له حلقة متصلة بعد ذلك حتى انتشر انتشار النار في الهشيم إلى يومنا هذا^(٣).

المطلب الرابع : أقسام الجدل .

ينقسم الجدل إلى قسمين :

(١) الجدل المحمود : إظهار الحق وكشف عن الباطل ، وإقامة الحجة والبراهين ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الجدل في قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)^(٢)، و أيضاً قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)^(٣) .

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ١٢ .

(٢) ابن الحنبلي ، ناصح الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري ، استخراج الجدل من القرآن الكريم ، تحقيق : محمد بن صبحي بن حسن حلاق ، ط ١ (بيروت - لبنان : دار الريان ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) ، ص ٣١ .

(٣) العثمان ، حمد بن إبراهيم ، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة ، ط ١ (الكويت - الفحيحيل : مكتبة ابن القيم ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ، ص ٩٣ .

سورة النحل ، من الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة النحل ، من الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت ، من الآية : ٤٦ .

(٢) الجدل المذموم : هو تقرير الباطل بعد ظهور الحق ، قال تعالى : (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) (١).

ونلاحظ في هذا الموضوع - أن الاستنكار على هؤلاء ما يجادلون به من الباطل يخضع للفكرة التي تريد للإنسان المؤمن أن يرفض الباطل جملة وتفصيلا في أي موقع من مواقعه ، سواء في ذلك الصراع مع الباطل، في حالة إرادة إضعاف الباطل في جانب بإقرار باطل مثله في جانب آخر ... لأن القضية في كلتا الحالتين تقع في موقع واحد ، وهو إقرار الباطل والاعتراف بشرعيته من دون فرق بين النتائج سواء أكانت إلى جانب الحق أم الباطل .

ولعلنا نفهم القضية جيدا ، إذا عرفنا حقيقة أساسية وهي إن الموقف ليس موقف الصراع والسباق ما بين فريقين يريد أحدهما أن يتغلب على الآخر، فيحاول أن يحشد كل ما يملكه من أسلحة الصراع من حق أو باطل ، في سبيل تحقيق هذه الغلبة ، بل الموقف هو موقف الصراع بين الحق والباطل من أجل الوقوف مع الحق بجميع مستوياته ضد الباطل بجميع مظاهره ومواقعه .

وخلاصة الفكرة التي نريد معالجتها هنا ، هي أن الهدف من الحوار إذا كان الوصول إلى الحق ، فمن البديهي أن يكون الحق هو الفكرة الذي يجسده الحوار جملة وتفصيلا في الأسلوب والغاية ، لأن دخول الباطل كعنصر في الحوار يجرد الحق من صفائه ونقائه ، وبالتالي من قوته التي تجعلنا نشعر أنه هو - وحده - في الميدان ، ولهذا فإننا نرفض الأساليب الجدلية التي تبتعد عن الحق ، وتعتمد على التلاعب بالحقائق في محاولة لإخفاء ضعف الجدل عن ممارسة الموقف القوي ضد الباطل (٢).

(١) سورة الكهف ، من الآية : ٥٦ .

(٢) فضل الله ، محمد حسين ، الحوار في القرآن قواعده ، وأساليبه ، ومعانيه ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

المطلب الخامس : آداب الجدل.

حري بمن قصد المناظرة أن يتأدب بأدب أهل العلم عموماً ، و أدب المختلفين والمتناظرين خصوصاً ، يلزم أمر الله في محاجة غيره ومعاملة مخالفه بما يقتضيه الشرع طاعة لله ، وحتى يحصل مقصوده من معرفة الحق وإظهاره ولزومه ، وتحقيق المجادلة بالتي هي أحسن ، ومن هذه الآداب :

(١) حسن القصد ، والإخلاص شرط في جميع الأعمال ، فلا بد أن يقصد من المناظرة وجه الله وطلب الحق والنصيحة للمسلمين .

(٢) مراعاة قدر المناظر ، الناس طبقات في العلم ، فينبغي على المناظر أن لا يلتزم حالة واحدة مع كل من يناظره ، فيميز بين العالم ومن دونه، وبين المتحري للحق والمتعنت ، وبين السني والبدعي ، وبين الناظر والمتطفل .

يقبل على العالم والمسترشد ويعرض عن المتعنت والمتطفل ، ويلين للسني مالا يلين للبدعي إلا أن يظهر تحريه للحق .

(٣) المجادلة بالحسنى ، أمرنا الله عز وجل بالمجادلة بالحسنى ، قال تعالى: (اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)^(١).

(٤) استعمال السمات والحسن والوقار محمود استعماله شرعاً بكل حال ، وهو حلية المؤمن وزينته وهي سبب لتأييد الله ، وميل الناس في جهته .

(٥) عدم التهاون مع المخالف ، لأنه يؤدي إلى عدم الجد في القيام بالحجة .

(٦) الإعراض عن مجالس الهيبة ، وقال الإمام الجويني^(١): وإياك والكلام في مجالس الخوف الهيبة فإنك عند ذلك في حراسة الروح على شغل من حراسة المذهب ونصرة الدين .

(١)سورة النحل ، من الآية : ١٢٥ .

(٧) عدم الإفراط في التوقي من الخصم ، كما أنه لا ينبغي للمناظر التهاون مع خصمه ، كذلك لا ينبغي له الإفراط في الاحتياط حتى لا يستوي عليه الخذلان فينقطع .

(٨) ترك الالتفات إلى الحاضرين ، لأن ذلك يشوش الذهن ، وربما يكون سبب في ضعف القيام بالحجة .

(٩) الإقبال على المناظر حتى يستجمع المناظر فكره ولا ينشغل بغيره عنه ، وحتى لا يظن المناظر له أنه مستخف به معرض عنه.

(١٠) اعتدال المزاج .

(١١) تجنب الضجر والحدة .

(١٢) تفحص الكلام قبل إرساله ، وينبغي على المناظر أن يدقق في الكلام الذي يريد أن يلقيه على مناظره ، فيتفهم معانيه ويثبت في ذلك غاية التثبيت من غير استعجال قبل إرساله ويتفحص الكلام ومدى مطابقته للمسألة المتناظر فيها .

(١٣) إنصاف مناظرك .

(١٤) مراعاة كلام المناظر .

(١٥) ترك المداخلة والمصادرة ، إذا شرع الطرفان في المناظرة ، وبدأ أحد الطرفين بذكر حججه ، فالواجب على الآخر الإنصات وعدم المداخلة على المتكلم حتى يأتي على آخر كلامه .

(١٦) الحذر من الشناعة على المخالف ، البعض يسلك هذه الطريقة حيلة وإيهام للحضور ببطلان حجج مناظره ، فتراه لا يذكر بطلان حججه بالأدلة والبيان ، وإنما يعول على التهويل والسجع واللفظ والخصام .

(١) الجويني ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، الكافية في الجدل ، تحقيق : فوقية حسين محمود ، د ، ط (القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

والشناعة على مناظرك ليس من طريق أهل المروءة والديانة والتقوى ، فلا تفجر في مناظرتك ولا تقل إلا خيراً ، وهذا شأن المجادلة المذمومة .

والمجادلة المحمودة هي إبداء المدارك ومستند الأقوال بألطف عبارة وأحسنه .

(١٧) الإعراض عن الواجب .

(١٨) التبسم مع المخالف .

(١٩) تقديم الأقوى من الحجج ، لأن المقصود إظهار الحق وتبينه .

(٢٠) التباعد عن حشو الكلام^(١) .

المطلب السادس : خصائص الجدل القرآني .

أولاً : مخاطبته لكل الناس حسب مداركهم .

بما أن القرآن الكريم جاء للناس جميعاً ، للأحمر و للأسود وللأبيض ، دون أن تقتصر دعوته على جيل معين أو زمان معين وحب أن يقع الناس جميعاً باختلاف مداركهم و مستوياتهم و أشكالهم و ألوانهم و تعدد نزعاتهم ، ووجب أن يكون أسلوبه لا يعلو على مدارك طائفة ولا ينزل عن مدارك طائفة أخرى ، ولا يرضى دون أخرى بل يجد فيه بغيته الجميع دون استثناء^(٢) ، ومن ثم فالمتدبر لآياته المتفكر في مناهجه يجد فيه ما يعلم الجاهل و ينبه الغافل و يرضى نعمة العالم ،^(٣) فالقرآن الكريم وما يشتمل من أدلة هو واضح للعامي يدرك ما يناسب خياله و يسمو إليه إدراكه وما يدركه منه صدق ولا شبهة فيه ، ويرى فيه العالم الباحث حقائق صادقة لما وصل إليها العلم الحديث بعد تجارب و مجهودات عقلية^(٤) ، لتقرأ قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَر

(١) العثمان ، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة ، ص ٥١٩- ٥٤٦ .

(٢) أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص ٦١ .

(٣) أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص ٦١ .

(٤) أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص ٦٢ .

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ (١) ، فالعامي من الناس يرى فيها علما لم يكن يعلم قد أدركه بأسهل بيان و أبلغه ، كما يرى فيه العالم و الفيلسوف الباحث عن نشأة الكون ، دقة العلم و إحكامه و موافقته ما وصل إليه العقل البشري مع سمو البيان و علو الدليل ..

ثانيا : متانته و إحكامه .

فإذا تأملنا القرآن و ما يسوقه من جدل نجد أن حججه و براهينه " قامت على أسس متينة من الجودة و الأحكام سواء أكان ذلك في نظمها و تراكيبها أم في صحة مقدماتها و نتائجها و بعد مراميها في معالجة أدواء القلوب إصلاح المجتمعات الإنسانية (٢) .

ثالثا : الإرشاد و التوجيه و الدعوة بالتي هي أحسن .

كان جدل القرآن يدعو كل من يتصدى للتوجيه و الدعوة و الإصلاح إلى استعمال الرفق و اللين و الجدل بالتي هي أحسن ، فلقد أمر الله سيدنا موسى و أخاه هارون عليهما السلام أن يدعو فرعون بالتي هي أحسن .

رابعا : دعوته إلى الجدل بعلم .

دعا القرآن الكريم في معرض الجدل أن يتسلح الذي يريد الجدل بالعلم ، لأنه في جداله يريد إحقاق الحق و يدعو إليه فلا يمكن أن تكون الدعوة إلى الحق إلا بالعلم قال تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۗ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (٣) ، وقال أيضا : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ

(١) سورة الأنبياء ، من الآية : ٣٠ .

(٢) الأملعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص ٨٩ .

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٣٦ .

عِلْمٍ وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (١) ، وقال أيضا في شأن جدال أهل الكتاب : (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِحْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٢) .

خامسا : مخاطبته للعقل و العاطفة و الحس .

قد يتجه الأسلوب القرآني إلى تقريب الفكرة بالمثل تارة أو بالصورة الحسية التي تواجد الإنسان لإيقاظ الإحساس الفطري بواسطة إثارة المعرفة الحسية بأمثالها " لأن الفطرة قد تغفو في كثير من الحالات أمام كثير من الأجواء الضبابية التي تحيط بالنفس فلا تستيقظ إلا إذا ارتبطت بالواقع المتحرك لديها الذي يجسد لها الفكرة في نطاق الصورة المحسوسة في أكثر من مجال ، ولعل هذا كله الذي أنطق القرآن الكريم فيه ليغير الفكرة من خلال تغيير المنهج في الوصول إليها ، وليواجه الإنسان العقيدة من حركة القاعدة الفكرية في كيانه ، لا من حركة التيار في حياة الآخرين ، إن الأسلوب المرن المتحرك في أكثر من اتجاه المرتكز على العقل تارة و على العاطفة أخرى ، و الحس من جهة ثالثة ليفتح لك المجال في فكرك و في قلبك و في وجدانك لتفكر و تناقش ، ولتشعر في كل باب تريد أن تلجه و في أي هدف تعمل على الوصول إليه كل ذلك بمحبه موضوعية " (٣) ، فلذلك نجد الجدل القرآني يختلف عن أشكال المنطق اليوناني لكونها تخاطب جانبا معينا و هو العقل دون ما سواه .

سادسا : مجادلة الخصوم بما يناسب أحوالهم و أوضاعهم .

من خصائص الجدل القرآني أنه يجادل الخصوم على حسب أوضاعهم و أحوالهم ، مثل ذلك ما حكاه القرآن على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام حينما أراد أن يبين لأصحاب عبادة الكواكب أن هذه العبادة باطلة و بين لهم كيف تتغير مما يدل دلالة واضحة على أنها لا تصلح و كأن أحدهم يعتقد مثلما يعتقدون لكي يجعلهم يميلون إلى الحق و قبوله ، و بعد ذلك ألزمهم الحجة بعد سماعها ، قال تعالى على لسان سيدنا

(١) سورة الحج ، الآية : ٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦٦ .

(٣) فضل الله ، محمد حسين ، الحوار في القرآن قواعده ، وأساليبه ، ومعطياته ، ص ٦٨، ٦٧ .

إبراهيم : (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)) (١) ، غرضه إفحام خصومه و إبطال مزاعمهم

سابعا : إتاحة الفرصة للتفكير والمناقشة .

ولقد أتاح القرآن الكريم للإنسان في معرض جدله أن يناقش في كل ما يطراً عليه من مشكلات في العقيدة أو في الفقه ، وفتح باب الحوار والمناقشة سواء أكان المحاور أو المجادل يناقش مكابرة أم عناداً أو تفقهاً أو اطمئناناً ، وجادل الأصناف كل حسب نيته ، فحينما طلب سيدنا إبراهيم عليه السلام من الله عز وجل أن يريه كيف يحيى الموتى بنية الاطمئنان واليقين إجابة إلى ذلك ، قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (١) ، و نضرب مثلاً على الصنف المعاند الجاحد فرعون الطاغية الذي ادعى الربوبية قائلاً : (أنا ربكم الأعلى) (٢) ، حينما سأل موسى و هارون قائلاً : (قَالَ فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى) (٤) ، أجابه سيدنا موسى (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ) (٥) ، هذا ما يتعلق بالعقيدة أما ما يتعلق بالأحكام الفقهية فلقد سمع الله قول المرأة التي جادلت الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجها واشتكت إليه من معاملة زوجها لها إذ قال لها أنت علي كظهر أمي ، فأجاب الله عن سؤالها وما أهمها من أمر زوجها ، فقال تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ) (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ

(١) سورة الأنعام ، من الآيتان : ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

(٣) سورة النازعات ، الآية : ٢٤ .

(٤) سورة طه ، الآية : ٤٩ .

(٥) سورة طه ، الآية : ٥٠ .

غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) (١).

يقول حسين فضل الله في هذا الصدر " القرآن وثيقة رائعة من وثائق الحوار الديني الذي يتعلق بكل قضايا العقيدة ابتداء من فكرة وجود الله ووحدانيتها إلى الأحكام الشرعية " (٢).

ثامنا : إعجازه . إن القرآن الكريم إضافة إلي كونه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الخالدة وإضافة إلى كونه أيضا أجاب على العديد من الأسئلة التي اعترض بها المشركون وغيرهم على الإسلام ، وإضافة إلى كل هذا هو المثل الأعلى الذي لا يتسامى إلى بيانه متكلم أو محتج ، ولا يناصي أساليب احتجاجه مستدل أو مجادل (٣) ، وهذا راجع إلى " كل ما فيه معجز فإيجازه معجز ، وإظنا به معجز ، وألفاظه معجزة ، وأساليبه معجزة ، ونعماته ونظمه وفواصله كل هذا معجز ، واستدلاله وبيانه لا يصل إلى درجته نوع من الكلام (٢) .

(١) سورة المجادلة ، الآيات ١ ، ٣ .

(٢) فضل الله ، محمد حسين ، الحوار في القرآن قواعده ، وأساليبه ، ومعطياته ، ص ١٥ .

(٣) أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص ٥٩ .

(٢) لعاكر ، يوسف عمر ، رسالة الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته ، ص ٨١ .

المبحث الثاني

المنهج القرآني في الاستدلال و المحاجة

و يشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم الاستدلال .

المطلب الثاني : أشكال الاستدلال القرآني .

المطلب الثالث : أساليب بلاغية للجدل القرآني .

المطلب الرابع : الفرق بين المنهج القرآني والمناهج الوضعية .

المبحث الثاني : المنهج القرآني في الاستدلال و المحاجة .

القرآن الكريم تناول كثيراً من الأدلة والبراهين التي حاج بها خصومة في صورة واضحة جلية يفهمها العامة والخاصة ، و أبطل كل شبهة فاسدة ونقضها بالمعارضة والمنع في أسلوب واضح النتائج ، سليم التركيب لا يحتاج إلى إعمال عقل أو كثير بحث .

لم يسلك القرآن في الجدل طريقة المتكلمين الإصلاحية في المقدمات والنتائج التي يعتمدون عليها ، من الاستدلال بالكلية على الجزئي في قياس الشمول ، أو الاستدلال بأحد الجزئين على الآخر في قياس التمثيل ، أو الاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء ، لأن القرآن جاء بلسان العرب وخاطبهم بما يعرفون ، ولأن الاعتماد في الاستدلال على ما فطرت عليه النفس من الإيمان بما تشاهد وتحس دون عمل فكري عميق أقوى أثراً و أبلغ حجة^(١) .

المطلب الأول : مفهوم الاستدلال .

معنى الاستدلال : ما يستدل به ، والدليل : الدال . وقيل : قد دلّه على الطريق ، يدلّه دلالةً ، وأنشد أبو عبيد : إني امرؤ بالطرق ذو دلالات^(٢) .

الاستدلال : تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر المؤثر فيسمى استدلال أنيا أو العكس ويسمى استدلال لميا أو من أحد الأثرين إلى الآخر^(٣) .

(١) القطان ، مناع ، مباحث في علوم القرآن ، ط ٢ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) ، ص ٢٩٩ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : " دلال " ، ١٦ / ١٤١٤ .

(٣) الجرجاني ، علي بن محمد السيد الشريف ، معجم التعريفات ، تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، د ، ط (دار الفضيلة ، د ، ت) ،

ص ١٨ .

المطلب الثاني : أشكال الاستدلال القرآني .

أولا : الأقيسة الإضمارية .

وهي الأقيسة التي تحذف وفيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف فهو محذوف معلوم مطوى في الكلام منوى فيه ، وهذا الحذف يكثر في الاستدلال الخطابي ، بل يقول ابن سينا في الشفاء : الخطابة معولة على الضمير والتمثيل ، والضمير هو القياس الإضماري ، والتمثيل هو إلحاق أمر بأمر لجامع بينهما ، ويسمى في عرف الفقهاء ، قياسا فقهيًا ، بينما هو في عرف المناطقة تمثيلا ، لأن فيه مشابهة بين أمرين . وأن الحذف قد صير في الكلام طلاوة ، وجعل الجملة مثلا مأثورا ، يعطي الكلام حجة في الرد على النصارى ويذكر الجميع بأن آدم والناس جميعا ينتهون إليه ، وإنما خلق من تراب فلا عزة إلا لله تعالى^(١).

ثانيا : الاستدلال بالقصص القرآني .

قال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)^(٢) ، أي نبين لك أحسن البيان . والقصص في القرآن يحكي أمورا ماضية واقعة ، ومضامينها صادقة وجميع الأسماء التي ترد في قصصه معبرة عن ذوات سواء كانت أشخاصا أو أمكنة أو غيرها ، دالة على مسمياتها حقيقة ، قال تعالى : (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ)^(٣) .

فوائد القصص القرآني :

(١) أبو زهرة ، محمد ، المعجزة الكبرى القرآن ، د ، ط ، (دار الفكر العربي ، د ، ت) ، ص ٣٩٧ .

(٢) سورة يوسف ، من الآية : ٣ .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية : ١٠٥ .

١ - بيان أن دعوة الرسل جميعا واحدة وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وقد جاءت قصص القرآن حاكية لدعوة الأنبياء لأممهم ولما أجيبوا به وما احتملوه في سبيل الدعوة وكيف كان عاقبة صبرهم ، وكيف كان حال من عادهم ولم يستجب لدعوتهم .

٢ - تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه ، إذا اعلّموا أن مآل الثبات في سبيل الدعوة هو الفوز والعزة .

٣ - إعلام النبي صلى الله عليه وسلم وأُمَّته بأحوال الأنبياء والأمم من أعظم الآيات الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنه يخبر بما تطاولت عليه القرون وتقادمت عليه العهود من غير أن يقرأ في كتب ولم يعرف القراءة ولا الكتابة .

٤ - دفع تعنت أهل الكتاب في أسئلتهم التي كانوا يريدون بها تعجيز النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذكر بعض القصص يرد تعنتهم ويدفع لجاحهم .

٥ - تجدد الأمل في نفوس المؤمنين بنصر الله لهم وإهلاك عدوهم كلما تجمعت عوامل اليأس عندهم^(١) ، قال تعالى: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)^(٢)

(١) سلامة ، محمد علي ، منهج الفرقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد سيد أحمد المسير ، ط ١ (دار النهضة مصر للطباعة

والنشر ، ٢٠٠٢ م) ، ٢ / ١٥٤ ، ١٥٨ .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ١١٠ .

ثالثا : قياس الخلف .

هو إثبات المطلوب ببطلان نقيضه^(١)، فدليل الخلف أن يبطل النقيض ويثبت الحق ، وأن القرآن الكريم يتجه في استدلاله إلى إبطال عبادة الأوثان ، ويثبت التوحيد ، ومن ذلك الاستدلال على التوحيد قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ).^(٢) ، وأيضا من قياس الخلف في إثبات القرآن من عند الله ، قوله تعالى : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)^(٣) .

رابعا : السبر والتقسيم .

حصر الأوصاف ، وإبطال أن يكون واحد منها علة للحكم^(٤) ، وقد ذكر السيوطي أن من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(٥) .

وبين السيوطي وجه الاستدلال فقال : إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإنانها أخرى رد الله تعالى ذلك عليهم بطريقة السبر والتقسيم ، فقال : إن الخلق لله تعالى ، خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا و أنثى ، فما جاء به تحريم ما ذكرتم ، أي علته لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة ، أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما ، أو لا يدرى له علة ، و هو التعبدي بأن يأخذ ذلك عن الله تعالى ، و الأخذ عن الله تعالى ، إما بوحى أو إرسال رسول ، أو سماع كلامه ، و مشاهدة تلقي ذلك عنه ، وهو معنى قوله : (أَمْ كُنْتُمْ

(١) الأصفهاني ، أبو الثناء محمود بن عبدالرحمن بن أحمد ، بيان المختصر شرح مختصر ابن حاجب ، تحقيق : محمد مظهر بقا (دار

المدني ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) ، ١ / ص ١٣٩ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢ .

(٣) سورة النساء ، من الآية : ٨٢ .

(٤) القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص ٣٠٣ .

(٥) سورة الأنعام ، الآيتان : ١٤٣ ، ١٤٤ .

شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا) ، فهذه وجوه التحريم ، ثم لا تخرج عن واحد منها ، والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما ، والثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما ، و الثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا ، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة ، و بعض في حالة ، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم ، ولأخذ عن الله بلا واسطة باطل ، ولم يدعوه ، و بواسطة رسول كذلك ، لأنه لم يأتي إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه و سلم ، إذا بطل جميع ذلك ، ثبت المدعي و هو أن ما قالوه افتراء على الله تعالى و ضلال (١) .

خامسا : التمثيل .

قد ضرب الله تعالى الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع ، وإحضاره في نفسه بصورة المثل الذي مثل به فقد يكون أقرب إلى فهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه و تنفر من الغرابة والوحدة وعدم النظير (٢) .

يقول زاهر الألمعي في تعريفه لقياس التمثيل : " هو إلحاق أحد الشيئين بالآخر ، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذى يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه ، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول و يبين الجهة الجامعة بينهما " (٣) ، تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح و الذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى التفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر (٤) ، ويرد قياس التمثيل كثيرا عند الاستدلال حول قضية البعث ، قال تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ

(١) السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق :مركز الدراسات القرآنية ، ط ١) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٢٦هـ) ، ١ / ص ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ .

(٢) السبحاني ، جعفر ، الأمثال في القرآن الكريم ، د ، ط (مؤسسة الإمام الصادق) ، ص ١٣ .

(٣) الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص ٧٢ .

(٤) الزركشي ، بدر الدين محمد عبدالله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة : دار التراث ، د ، ت) ، ١ / ٤٨٧ .

الْأَخْضِرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) (١) .

المطلب الثالث : أساليب بلاغية للجدل القرآني .

أولاً : الاستفهام .

يعد الاستفهام من أكثر الأساليب الإنشائية وروداً في الجدل القرآني ، ولعل الحوار الذي كان يدور بين المرسلين و أقوامهم تطلب وجود الصيغة الاستفهامية والتي اتخذت من جانب أنبياء الله وسيلة لإقامة الحججة والإقناع وامتزجت بالنصيحة في كثير من الأحيان وذلك على عكس ما تلقوه من جانب أقوامهم .

والاستفهام طلب حصول صورة الشيء في الذهن عن طريق أدوات الاستفهام وهي الهمزة ، هل ، من ، ما ، أي ، كيف ، أين ، أنى ، متى ، أيان ، كم (٢) ، وقد يخرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى ، ومنها :

١ - التقرير : حين يطلب من المخاطب الإقرار بما بعد أداة الاستفهام ، أو يريد من المتكلم إثباته ، مثل قوله تعالى (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) (٣) .

٢ - التوبيخ : حين يكون المستفهم عنه مستقبحا ، مثل قوله تعالى : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يُفَصِّحُونَ

عَلَيْكُمْ آيَاتِي) (٤) .

٣ - التعجب : حين يكون المستفهم عنه مثيراً للعجب والدهشة عند المتكلم ، مثل قوله تعالى : (مَا لِي لَأَأْرَى أَلِهًا مُتَّهَدًا) (١) .

(١) سورة يس ، الآيات : ٧٨ ، ٨١ .

(٢) مصطفى ، محمود السيد حسن ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ط ١ (مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨١ م) ، ١ / ٢٥٣ .

(٣) سورة القيامة ، الآية : ٤٠ .

(٤) سورة الأنعام ، من الآية : ١٣٠ .

٤ - الإنكار : حين يراد إنكار المستفهم عنه ^(٢) ، مثل قوله تعالى : (أَيَّلَةٌ مَعَ اللَّهِ) ^(٣) .

أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا (^(٤)) . ٥ - للتهكم ، مثل قوله تعالى : (

٦ - النفي ، مثل قوله تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) ^(٥) .

ثانيا : التوكيد .

يعد التوكيد من الأساليب البلاغية التي استعملها القرآن الكريم في مجادلتها مع الخصوم ، يقول ابن العلوي : أن التوكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره ، وفائدته إزالة الشكوك وإمطاة الشبهات عما أنت بصدده وهو دقيق المأخذ ، كثير الفوائد ^(٦) .

وللتوكيد أساليب كثيرة في القرآن الكريم ، فمنها :

١ - التوكيد المعنوي بكل وأجمع ، مثل قوله تعالى : (فَسَحَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) ^(٧) ، وفائدة هذا

النوع من التوكيد رفع ما يتوهم من عدم الشمول .

٢ - التوكيد اللفظي ، بأن يكرر السابق لفظه اسما كان ، أو فعلا ، أو اسم فعل ، أو حرف ، أو جملة ،

مثل قوله تعالى : (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) ^(١) .

(١) سورة النمل ، من الآية : ٢٠ .

(٢) يوسف ، عبد الكريم محمد ، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه ، وإعراجه ، ط ١ (دمشق : مكتبة الغزالي ، ١٤٢١ هـ

- ٢٠٠٠ م) ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) سورة النمل ، من الآية : ٦٤ .

(٤) سورة هود ، من الآية : ٨٧ .

(٥) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٥ .

(٦) ابن العلوي ، يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، د ، ط (مصر : مطبعة المقتطف ، د ،

ت ١٧٦ / ٢) .

(٧) سورة الحجر ، الآية : ٣٠ .

٣ - تأكيد الضمير المنفصل بمثله ، مثل قوله تعالى : (الَّذِينَ يُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)^(١) .

٤ - تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل ، مثل قوله تعالى : (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ)^(٢) ، وفي تأكيدهم ما يشعر بثقتهم بأنفسهم .

ومن ألوان التوكيد أن يكون في الجملة أداة من أدوات التأكيد ، وهي إن ، أن ، ولام الابتداء ، والقسم ، و ألا الاستفتاحية ، وها التنبيه ، وكأن في تأكيد التشبيه ، وضمير الشأن ، وضمير الفصل ، وقد ، والسين ، وسوف ، والنونان في تأكيد الفعل ، ودخول الأحرف الزائدة في الجملة ، وتؤكد الجملة بذلك لتثبيت معناها وتوطيده في النفس ، وكلما كان هذا المعنى مجالا للشك أو الإنكار ، كان موضع التوكيد أنسب و أقوى^(٤) .

ثالثا : التراكيب الندائية في صيغة الأمر .

تعد التراكيب الندائية في صيغة الأمر من الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن الكريم في قصص الأنبياء

مع أقوامهم ، مثل قوله تعالى : (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)^(٥) ، وقد تقدم

إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهدي ، ومن ثم دعا إلى عبادة الله

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٣٥ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٣ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١١٥ .

(٤) بدوي ، أحمد أحمد ، كتاب من بلاغة القرآن ، د ، ط (الفجالة - القاهرة : شركة نهضة مصر ، ٢٠٠٥ م) ، ص ١١٤ ،

١١٥ .

(٥) سورة المائدة ، من الآية : ٧٢ .

الواحد فقال : (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)^(١) ، وهذا عليه أنبياء الله ورسله أجمعين^(٢) .

رابعاً : التنكير والتعريف .

التنكير : هو أن التنكير يجيء لفائدة جزلة يقصد عن إفادتها العلم ، أما ما يذكره علماء البلاغة من معان استفيدت من النكرة ، فإنها لا تفيدها بطبيعتها ، وإنما استفادتها من المقام الذي وردت فيه ، فكأنما المقام هو الذي يصف النكرة ، ويحدد معناها مثل قوله تعالى : (قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ)^(٣) ، فالرسل منكورة لا تدل على أكثر من معنى المرسلين والكثرة ما استفيدت من هذه الصيغة من جموع التنكير الدالة على هذه الكثرة ، أما التعظيم فلا يستفاد من التنكير ، وإنما يستفاد من وصف هؤلاء الرسل بأنهم جاءوا بالبينات ، فالمقام هو الذي عظم هؤلاء الرسل^(٤) .

التعريف : ما دلّ على شيء بعينه ويكون التعريف في المضمرة ، والأعلام ، وأسماء الإشارة ، ثم المعرف باللام ، ثم المضاف إلى واحد من هذه إضافة معنوية لا لفظية^(٥) ، ومثال القرآن يضع الاسم الظاهر موضع الضمير ، لأمر تلمسها في كل مكان حدث فيه هذا الوضع ، قال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ

(١) سورة مریم ، الآية : ٣٦ .

(٢) مصطفى ، محمود السيد حسن ، كتاب الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ط ١ (مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨١ م) ، ١ / ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٣) سورة آل عمران ، من الآية : ١٨٣ .

(٤) بدوي ، كتاب من بلاغة القرآن ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٥) ابن العلوي ، يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ص ١١ .

النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ^(١) ، فوضع الله مكان ضميره لأن هذا الاسم يوحي بالإجلال ، المؤذن بيسر بدء الخلق عليه ، وقدرته على إنشاء النشأة الآخرة ^(٢) .

خامسا : الاستدراج .

يعد الاستدراج من الأساليب البديعية التي استعملها القرآن الكريم في حوارهِ مع المعاندين والمستكبرين ، وهو أن يقدم المخاطب ما يعلم أنه يؤثر في نفس المخاطب من ترغيب، وترهيب، وإطماع، وترهيد ، وأمزجة الناس تختلف في ذلك ، بل فينبغي أن يستمال كل شخص بما يناسبه ، وهذا لا يؤثر فيه التعليم إلا يسير ، بل ينبغي أن يكون في مزاج الإنسان قوة تؤديه إلى ذلك ، وهي تصرف في الكلام كتصرف الإنسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه ^(٣) ، ومن أحسنه موقعا وأشدّه تطفئا ، قوله تعالى : (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَحْأُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا نَحْأُ فَإِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨)) ^(٤) ، أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون بالتلطف والاستدراج مع فرعون ، وأمنهما الله سبحانه وتعالى ، ثم علمهما كيف يخاطبانه (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) أي: فقولا إنا رسولا ربك نسبة إليه ، ولم يقلوا : إنا رسولا ربنا ، من التلطف البديع ، أما قوله : (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) أي : لم يصرحا له بالدعوة إلى الإيمان ، أما التعذيب الذي سألاه أن يكف عنه هو ما كان فرعون يسخر له بني إسرائيل من الأعمال الشاقة في الخدمة ، لأنه كان يعد بني إسرائيل كالعبيد جزاء إحلالهم بأرضه ، وجملة (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ) فيها بيان جملة (إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) فكانت الأولى إجمالا والثانية بيانا ، وفيها معنى التعليل لتحقيق كونهما مرسلين من الله بما يظهر الله على يد أحدهما

(١) سورة العنكبوت ، الآيتان : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) بدوي ، كتاب من بلاغة القرآن ، ص ١٠٥ .

(٣) لاشين ، عبد الفتاح ، البديع في ضوء أساليب القرآن ، د، ط (القاهرة: دار الفكر العربي ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م) ، ص ١٢٤ .

(٤) سورة طه ، الآيات : ٤٣ ، ٤٨ .

من دلائل الصدق ، وقوله: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) (١) أي : سلامة من اتبع الهدى ثابتة لهم دون ريب، ثم اتبعاه بما هو أشد ، وهو الذي قدم التلطف بين يديه ، فقالا : (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (٢) تعريض (٣) لإنذاره على التكذيب قبل حصوله منه ليبلغ الرسالة على أتم وجه قبل ظهور رأي فرعون في ذلك حتى لا يجابهه بعد ظهور رأيه بتصريح توجيه الإنذار إليه ، وهذا من أسلوب القول اللين الذي أمرهما الله به (٤) .

وأخيرا فقد استعمل القرآن الكريم كثير من الأساليب البلاغية لمجادلة خصومه ، فالبعض ذكرته والبعض لم أذكره لضيق المقام ...

المطلب الرابع : الفرق بين المنهج القرآني و المناهج الوضعية في الجدل .
أولا : المنهج القرآني

لم يسلك القرآن في جدله طريق المتكلمين لأنه جاء بلسان عربي مبين بعيداً عن المصطلحات المنطقية المعقدة الجافة .

إن طرق الجدل القرآني و استدلالاته أعلى من المنطق في دقته ، و يمتاز بالحيوية و المرونة ولا يخاطب العقل فقط بل يتعدى إلى مخاطبة الحس و الوجدان ، ولم تقتيد أساليب القرآن بأساليب المناطقة ، ولا بأشكال أدلتهم ، ففي القرآن التقديم و التأخير ، و الإيجاز و الإطناب تبعا لروعة البيان و نسقه و جماله ، و ليس تبعا لأشكال البرهان ، فكان المثل الأعلى الذي لا يستطيع أن يجاربه الخطباء (٥) . و يقول فخر الرازي في آخر عمره : لقد تأملت الطرق الكلامية و المناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ،

(١) سورة طه ، من الآية : ٤٧ .

(٢) سورة طه ، الآية : ٤٨ .

(٣) ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير و التنوير ، د ، ط (تونس : الدار التونسية للنشر ، د ، ت) ١٦ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وينظر : لاشين ، عبد الفتاح ، البديع في ضوء أساليب القرآن ، ص ١٢٥ .

(٤) ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ١٦ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وينظر : لاشين ، عبد الفتاح ، البديع في ضوء أساليب القرآن ، ص ١٢٥ .

(٥) أبو زهرة ، المعجزة الكبرى القرآن ، ص ٤١١ .

ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)^(١) (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)^(٢) ، وقرأ في النفي : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)^(٣) ، (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)^(٤) ، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي^(٥) .

وقال ابن رشيد : إن أدلة القرآن من قبل الأدلة الجدلية و الخطابية ، و قال إن أكثرها خطابي و بعضها جدلي فيه الإلزام و الإفحام^(٦) .
إن منطق القرآن و جدله يمتزج بالأسلوب العاطفي المثير لأنه يخاطب الإنسان ، ويثيره عن طريق قضاياها و مشكلاته ليحرك تطلعه إلى معرفة الحقيقة ذات الصلة بحياته الحاضرة و مصيره البعيد ، و هو يدعو إلى قواه العقلية ليكون إيمانه عن تأمل و تدبر لا عن تقليد لما وجد عليه الآباء من غير نظر ولا تمحيص^(٧) .

ثانيا : المناهج الوضعية

١ - من المناهج الوضعية متاهات المتكلمين ، لقد خاض المتكلمون في بيان كلام الله على نهج الفلاسفة فأوقعوا الناس في متاهات أضلّتهم عن سواء السبيل ، حيث قسموا كلام الله تعالى إلى قسمين : نفسي قدسم قائم بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت ولا ترتيب ولا لغة ، و كلام لفظي هو المنزل على الأنبياء عليهم السلام ، و أغرق علماء الكلام في خلافتهم الكلامية المبتدعة أيكون القرآن بهذا المعنى الثاني مخلوقا أم لا ؟ ورجحوا أن يكون مخلوقا ، و خرجوا بذلك عن منهج السلف الصالح فيما لم يرد في كتاب و لا

(١) سورة طه ، الآية : ٥ .

(٢) سورة فاطر ، من الآية : ١٠ .

(٣) سورة الشورى ، من الآية : ١١ .

(٤) سورة طه ، من الآية : ١١٠ .

(٥) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، د ، ط ، (مؤسسة الرسالة : ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ٢١ / ٥٠١ .

(٦) ابن رشيد ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ، فصل المقال فيها بين الحكمة و الشريعة من الاتصال ، دراسة وتحقيق : محمد عمارة ، ط ٢ (المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ١٩٨١ م) ، ص ٥٦ .

(٧) نقرة ، التهامي ، سيكولوجية القصة القرآنية رسالة دكتوراة جامعة الجزائر (الشركة التونسية للتوزيع و النشر ، ١٩٧١ م) ، ص

سنة ، و تناولوا صفات الله بالتحليل الفلسفي الذي يؤدي إلى التشكيك في عقيدة التوحيد ^(١) .
ولو أن المتكلمين الذين عنوا بإثبات العقائد و الجدل سلكوا مسلك القرآن ، و ساروا في سبيله لكان علمهم
أكثر فائدة ، و لكنهم سلكوا مسلك المنطق و قيوده ، و البرهان و أشكاله ، فكان علمهم للخاصة من
غير أن يفيد العامة ، فإن العامة يدركون دقائق القرآن على قدر عقولهم ، ولا يدركون شيئا من أشكال
الأقيسة

و قد وازن الغزالي في كتابة إجماع العوام عن علم الكلام بين أدلة القرآن و طريقة المتكلمين ، فقال رضى الله
عنه : أدلة القرآن مثل الغذاء ، ينتفع به كل إنسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ، و
يستضرر به الأكثرون ، بل إن أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع ، و الرجل القوي ، و سائر
الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة و يمرضون بها أخرى ، ولا ينتفع بها الصبيان أصلا^(٢) .
٢) لو فرضنا اتفقت بعض مناهج الاستدلال في القرآن مع بعض القواعد المنطقية في نتائج صحيحة لا يعد
دليلا على أن القرآن سلك في جدله منهج المنطق اليوناني أو أنه صورة مقتبسة منه ، إلا أنه يدل على توافق
القرآن مع الاستدلال الصحيح ، و المنطق اليوناني ليس معصوما من الخطأ منه ما يكون صحيحا يوافقه
القرآن في جدله ، و منه ما يكون غير صحيح فلا يمنع من اتفاق الحق في نتيجة صحيحة ^(٣) . يقول
الدكتور التهامي نقرة في هذا الصدد أيضا : أمّا ما جاء فيه موافقا لبعض أقيسة المنطق في الحاجة كالذي
استخلصه الغزالي في (القسطاس المستقيم) فلا يعدّ دليلا على أن القرآن يخضع في حججه إلى القواعد
التي اصطلح على وضعها علماء المنطق ، فإنه غير مطرّ ، فهو شبيه بما يقول إن القرآن شعرا لوجود ما
يصلح أن يكون بيتا من الشعر و نصف بيت في أوزانه و تفعيلاته ^(٤) ، إذن إن جدل القرآن حججه و

(١) القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص ٤٩ .

(٢) أبو زهرة ، المعجزة الكبرى للقرآن ، ص ٤١١ .

(٣) الأملعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص ٩٧ .

(٤) نقرة ، التهامي ، سيكولوجية القصة القرآنية رسالة دكتوراة جامعة الجزائر ، ص ٤٧١ .

استدلالاته لا تستند لمنطق اليوناني ^(١) ، ولا يخضع لقواعد استدلالية وضعتها البشر لأن هذه القواعد لا تتسم بالكمال و من ثم لا تسلم من الخطأ و السقم و الركافة ^(٢) .

و أخيرا إن الجدل الإسلامي هو منهج أصيل يؤصله القرآن الكريم ، غايته في المقام الأول غاية دعوية في إحقاق الحق و إبطال الباطل ، و إقامة الأجواء الرحبة من أجل استيعاب الأفكار المضادة بأناءة و حلم و صبر ثم مجادلتها بالتي هي أحسن و صولا إلى الصواب و الدين الحق و ليس مجرد الانتصار و إفحام الخصم.

(١) نقرة ، التهامي ، سيكولوجية القصة القرآنية رسالة دكتوراة جامعة الجزائر ، ص ٨٩ .

(٢) نقرة ، التهامي ، سيكولوجية القصة القرآنية رسالة دكتوراة جامعة الجزائر ، ص ٩٨ ، و ينظر : لعساكر ، يوسف عمر ، رسالة الجدل في القرآن خصائصه ودلالته ، ص ٩٤ .

الفصل الثاني

محاوور الؤدل القرآني

و يشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : محاوور الؤدل القرآني في العقائد .

المبحث الثاني : الؤدل في موضوعات مختلفة .

المبحث الأول

محاوّر الجدل القرآني في العقائد

و يشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : الجدال في إثبات وجود الله .

المطلب الثاني : الجدال في إثبات وحدانية الله .

المطلب الثالث : الجدال في إثبات الرسالة المحمدية وشمولها .

المطلب الرابع : الجدال في البعث والجزاء .

المطلب الخامس : الجدال في التشريعات .

المبحث الأول : محاور الجدل القرآني في العقائد .

المطلب الأول : الجدل في إثبات وجود الله .

إنّ رفض فكرة الإلحاد ، كان يسير بشكل أهدأ من الحوار الذي أداره في قضية التوحيد . و في ضوء ذلك نلاحظ أن القرآن الكريم بدأ في رسم الصورة من خلال المنهج الجديد الذي يريد أن يدفعه إلى تفكير المجتمع و طريقته في مواجهة القضايا فابتدأ بالدعوة إلى التفكير في الكون كله ، بما فيه من ظواهر و مخلوقات ، من أجل البحث عن أسراره و عن القوانين الطبيعية ، التي تحكمه و توجهه في حركته ، و أراد من الإنسان أن يرجع إلى صفاء فطرته و هو يتعامل ، و إلى هدوء عقله و هو يفكر لأن الفطرة الصافية و العقل الهادئ ، إذا انطلقا في كيان الإنسان المنفتح على كتاب الكون المفتوح الذي يقرأ فيه ببصره و بصيرته ، استطاعا أن يقوداه إلى النتيجة الحاسمة و هي أنه لا بد للكون من مدبر حكيم قدير . ونلاحظ في هذا الجانب أن القرآن لا يقتصر على دعوة الإنسان للتفكير في ذلك كله ، بل يحاول أن يطرح أمامه الخطوات الأولى في هذا السبيل و يدلله على بدايات الطريق ^(١) .

و الآيات القرآنية التي تثبت وجود الله تعالى لا تحصى ، فمنها قوله تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١)) ^(٢) ، و قوله تعالى : (أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)) ^(٣) ، و قوله تعالى : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا

(١) فضل الله ، السيد محمد حسين ، كتاب الحوار في القرآن قواعده _ أساليبه _ معانيه ، ط ٥ (بيروت _ لبنان : دار الملاك ،

١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦ م) ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) سورة الغاشية ، الآيات : ١٧ ، ٢١ .

(٣) سورة النبأ ، الآيات : ٦ ، ١٦ .

تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^(١) ، وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ(٣٢))^(٢) .

ذكر ابن رشيد أن الآيات الواردة في القرآن المنبهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه تنحصر في هذين الجنسين من الأدلة _ يعني بذلك _ دليل العناية ، ودليل الاختراع ثم قال و ذلك بين لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى ثلاثة أنواع :

١- آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية .

٢- آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع .

٣- آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعاً^(٣) .

فالآيات التي تتضمن العناية فقط ، مثل قوله تعالى : أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا^(٤) ، ومثل هذا كثير في القرآن .

وأما الآيات التي تتضمن دلالة الاختراع فقط ، مثل قوله تعالى:(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩))^(٥) ، إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى .

(١)سورة النحل ، الآية : ٧٨ .

(٢)سورة الأنبياء ، الآيات : ٣٠ ، ٣٢ .

(٣)الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص ١٣٧ .

(٤)سورة النبأ ، الآيات : ٦ ، ٨ .

(٥)سورة الغاشية ، الآيات : ١٧ ، ١٩ .

وأما الآيات التي تجمع الدلالة فهي كثيرة ، مثل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)) (١) .

إن في إبداع السموات و الأرض ، وما فيها من نظام بديع و أفلاك و كواكب ، و بحار و جبال و أنهار ، و زروع و نبات و أشجار مثمرة و غير مثمرة ، و تعاقب الليل و النهار مع الطول و القصر و الاعتدال على مدار العام و بحسب الفصول ، لأدلة دالة على وجود الله و كمال قدرته و عظمته و وحدانيته ، بشرط أن يكون من ذوي العقول التامة التي تدرك الأشياء بحقائقها ، و يتفكرون ما في السموات و الأرض من أسرار و منافع و حكم دالة على عظمة الخالق و قدرته و علمه و رحمته (٢) ، قال تعالى : (وَتَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (٣) .

المطلب الثاني : الجدل في إثبات وحدانية الله .

إن من أبرز محاور الجدل التي تحدث عنها القرآن الكريم و فصل في ذكرها ، هو ما وقع بين الأنبياء و أقوامهم من جدال و مناقشات في مواضع تتعلق بالعقيدة ، ولهذا أرسل الله رسله بألسنة أقوامهم حتى يفهموا ما يدعونهم إليه و يستطيعون بيانه إليهم ، قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) (٤) ، و جعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام التبليغ المبين الواضح لتقوم الحجة على الناس (٥) .

و سوف اذكر في هذا المطلب نماذج من جدال الأنبياء مع أقوامهم .

أولا : جدال نوح عليه السلام مع قومه .

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) الزحيلي ، وهبة ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ط ٢ (دمشق _ سورية : دار الفكر ، ١٤١٨ هـ _ ١٩٩٨ م) ، ٤ / ٢٠٧ .

(٣) سورة آل عمران ، من الآية : ١٩١ .

(٤) سورة إبراهيم ، من الآية : ٤ .

(٥) زيدان ، عبد الكريم ، كتاب أصول الدعوة ، ط ١ (بيروت - لبنان : مؤسسة الرسالة ناشرون ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م) ، ص ٤٤٨ .

لقد تحدث القرآن الكريم عن نوح عليه السلام و قومه في أكثر من سورة ، فقد جاء الحديث عنه في سورة الأعراف و يونس و هود و المؤمنون و الشعراء و نوح . ولم يلق نبي قومه من الأذى مثل نوح عليه السلام، وقد كان بين آدم و نوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام ، وكان أول ما عبد الأصنام أن قوما كانوا صالحين ماتوا ، فبنى قومهم عليهم مساجد ، وصوروا صور أولئك فيها ، ليتذكروا حالهم و عبادتهم ، فلما طال الزمان عبدوا تلك الأصنام و سموها بأسماء أولئك الصالحين ودا و سوعا ويعوق و يغوث و نسرا ، فلما تفاقم الأمر بعث الله سبحانه و تعالى رسوله نوحا عليه السلام فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له^(١)، فقال تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) ^(٢) ، وقال تعالى : (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١١٠)) ^(٣) ، وقال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦)) ^(٤) .

من خلال الآيات السابقة نجد أن سيدنا نوح عليه السلام اهتم في دعوته بثلاثة عناصر :

١- أنه أمرهم بعبادة الله تعالى .

٢- أنه حكم أن لا إله غير الله ، أي الإقرار بالتوحيد .

٣- (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أي : إما عذاب يوم القيامة ، أو عذاب يوم الطوفان ، والمراد بالخوف : اليقين ، لأنه جازما بنزول العذاب بهم إما في الدنيا وإما في الآخرة إن لم يقبلوا ذلك الدين ^(٥) .

(١) الرفاعي ، محمد نسيب ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، د ، ط (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م) ، ٢١١/٨ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥٩ .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ١٠٥ ، ١١٠ .

(٤) سورة هود الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ .

(٥) الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ٢٥٦/٨ .

فلما دعا نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله كان ردهم له : (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِهِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) ^(١) ، و إذا تأملنا هذا الرد يتضمن معارضة الدعوة و تشمل على أربع شبهات :

١- (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا) أي قال السادة الكبراء من الكافرين منهم: ما أنت إلا بشر مثلنا ،أي لست بملك ،ولكنك بشر مشابه لنا في الجنس ،فلا مزية تمتاز بها علينا تستوجب الطاعة .

٢- (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا ...) أي : لم يتبعك إلا أرادل القوم الأחסاء كالزراع ،والصناع ،وهم الفقراء والضعفاء، ولو كنت صادقاً لاتبعك الأشراف من الناس، كقوله تعالى: (أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ) ^(٢) .

٣- (وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) أي : ما رأينا لكم علينا امتيازاً ظاهراً من فضيلة أو قوة أو ثروة أو علم أو جاه ،يحملنا على اتباعكم ،قال تعالى : (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) ^(٣) .

٤- (بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) أي: بل يترجح لدينا كذبكم في ادعائكم الصلاح و السعادة في الدار الآخرة ^(٤) بعد أن سمع سيدنا نوح عليه السلام إليهم و تأمل في أدلتهم وما أثاروا عليه من شبهات ، رد عليهم بأسلوب رقيق و جذاب بأدلة تفند مزاعمهم و تدحض دعاويهم الباطلة ، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَا

(١)سورة هود ، الآية : ٢٧ .

(٢)سورة الشعراء ، الآية : ١١١ .

(٣)سورة الأحقاف ، من الآية : ١١ .

(٤)الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ١٢ / ٥٦ .

أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) (١) .

إن نوح عليه السلام يؤكد تماما ، حين يجرد مركز الرسالة من صفة ترتفع بالرسول عن صفة البشرية ، فهو لا يملك السيطرة على خزائن السموات و الأرض ليغري الناس بذلك فيسيرون معه طمعا في خزائنه ، ولا العلم بالغيب ، ليتبعه الناس من خلال قراءته للمستقبل أو الاطلاع على خفايا الناس و أسرارهم ، أو الارتفاع إلى المستوى الشخصي الملائكية التي تجعله شخصا سماويا يخاف الناس منه و يخضعون له بل هو رسول الله ، أتاه الرسالة رحمة منه ، وزوده بالأدلة عليها ، فما عليهم إلا الانفتاح عليها بعقولهم و أفكارهم ، دون وجود ما يلزمهم باتباعها (٢) ، و بين لهم أنه لا يسألهم أجرا ، و أنه يدعو من لقيه من شريف و فقير فمن استجاب نجا ، ولا أقول عمن تحتقروهم بأنهم لا ثواب لهم على أعمالهم الله أعلم بما في أنفسهم فإن كانوا مؤمنين فلهم جزاء الحسنى (٣) .

ثانيا : إبراهيم عليه السلام :

١ - حوار مع ربه .

قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْمَأْتُ نَفْسِي قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٤) .

أحب إبراهيم عليه السلام أن يرى بالمشاهدة كيف يحيي الموتى ، ولم يكن شاكا في إحياء الموتى قط ، فالحديث الذي رواه البخاري عند هذه الآية عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة هود ، الآيات : ٢٨ ، ٣١ .

(٢) فضل الله ، السيد محمد حسين ، كتاب الحوار في القرآن قواعده _ أساليبه _ معطياته ، ص ٢٣٦ .

(٣) الرفاعي ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، ١٢ / ٤٤١ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

وسلم : (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْمَأْتُ مِّنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي) ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي) (١) .

وقوله : (أَرِنِي) أي : لم يرد رؤية القلب ، وإنما رؤية العين ، لتحصل له الطمأنينة ، (أَوْمَأْتُ مِّنْ) بأني قادر على الإحياء حتى تسألني أن تنظر إليه (قَالَ بَلَىٰ) علمت و آمنت بأنك قادر على ذلك (وَلَكِنَّ) سألت (لِيُطَمِّنَ قَلْبِي) باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان . ولم يكن شاكا في إحياء الموتى فقط ، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس من حب الاطمئنان برؤية ما أخبرت عنه ، (فَخَذُ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرَهُنَّ إِيَّاكَ) أي : اجمعهن إليك ، ثم قطع كل واحد منهن قطعا (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا) أي : ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا (ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا) المراد به الإسراع في الطيران ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : وصفهن على سبعة أجبل ، وأخذ الرؤوس بيده فجعل ينظر إلى القطرة تلقي القطرة ، والريشة تلقي الريشة ، حتى صرن أحياء (٢) .

٢- حوار مع أبيه :

لقد بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته و جداله بصانع هذه الأصنام وهو أبوه الذي كان كافر ، ورأى إبراهيم عليه السلام أن من أولى مهماته في الدعوة إلى الله أن يبدأ بدعوة أبيه ، قال تعالى : (وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي

(١) صحيح البخاري، كتاب بأحاديث الأنبياء ، باب قوله ونبيهم عن ضيف إبراهيم ، ١ / ٥٦٥ ، رقم الحديث ٣٣٧٢ .

(٢) الأشقر ، محمد سليمان عبدالله ، زبدة التفسير ، ط ٢ (الأردن : دار النفائس ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (١). (وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ) خبر إبراهيم (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) يعني صادقاً ، (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) كان أبيه يعبد الأصنام (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ) دعاءك (وَلَا يُبْصِرُ) عبادتك (وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا) أي: من عذاب الله عز وجل شيئاً ، (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ) أي: من الله تعالى من البيان (مَا لَمْ يَأْتِكَ) أنه من عند غير الله عذبه الله في الآخرة بالنار (فَاتَّبَعْنِي) يعني: أطعني فيما أدعوك و يقال اتبع دين الله (أَهْدِكَ) يعني: أرشدك (صِرَاطًا سَوِيًّا) يعني: طريقاً عدلاً قائماً ترضاه ، (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) يعني: لا تطع الشيطان فمن أطاع شيئاً فقد عبده (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) يعني: عاصياً ، (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ) يعني: أعلم أن يمَسَّكَ (عَذَابٌ) إن أقممت على كفرك يصيبك عذاب (مِنَ الرَّحْمَنِ) (فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) يعني: قريناً في النار ، (قال) له أبوه (أَرَاغِبُ أَنتَ عَنْ) يعني: أترك أنت عبادة آلهتي (أَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لئن لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ) يقول: إن لم تنته عن مقاتلتك ولم ترجع عنها لأسبئك و أشتمنك (وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا) يعني: تباعد عني ولا تكلمني حيناً طويلاً ، (قال) إبراهيم (سَلَامٌ عَلَيْكَ) يعني: أكرمك الله بالهدى (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي) يعني: سأدعوا لك ربي (إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) يعني: باراً ، وكان يستغفر له مادام أبوه حياً فلما مات كان كافراً ترك الاستغفار له ، (وَأَعْتَزَلَكُم) يعني أترككم (وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يعني: أترك عبادة ما تعبدون من دون الله عز وجل (وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) يعني: لا يخيبني إذا دعوته فهاجر إلى بيت المقدس . ويلاحظ في أسلوب إبراهيم عليه السلام في محاورته لأبيه في غاية الأدب و اللطف و الرفق فكان يكرر قوله: (يا أبت) فواجهه في أول الأمر بسؤال لطيف ، فسأله عن الأصنام التي يعبدها لا تسمع ولا تبصر ، والذي يستحق أن يعبد لا بد أن يتصف بصفات الكمال المطلق ، ثم بعد ذلك انتقل في جداله مع أبيه إلى

(١)سورة مريم ، الآيات : ٤١ ، ٤٨ .

مرحلة ثانية أراد من خلالها أن يقوي بها حجته الأولى و الحجج التي تتلوها^(١) ، قال تعالى : (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) .

٣-جداله مع النمرود.

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)^(٢) ، قال الفراء : ألم تر بمعنى هل رأيت : أي هل رأيت الذي حاج إبراهيم و هو النمرود ، (أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) أي : لأن آتاه الله أو من أجل آتاه الله الملك أبطره و أورثه الكبر و العتو ، فحاج لذلك ، (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) أي : أراد إبراهيم عليه السلام أن الله هو الذي يخلق الحياة و الموت في الأجساد ، وأراد الكافر أنه يقدر أن يعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء ، وعلى القتل يكون إماتة، فكان هذا جوابا أحق لا يصح نضبه في مقابلة حجة إبراهيم ، ولكن إبراهيم عليه السلام انتقل إلى حجه أخرى (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) لكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة و مشاغبة ، (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) بهت الرجل و بهت : إذا انقطع و سكت متحيرا^(٣) .

وذكر الأصوليون في هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام لما وصف ربه تعالى : بما هو صفة له من الإحياء و الإماتة - لكنه أمر له حقيقة و مجاز - قصد إبراهيم عليه السلام إلى الحقيقة ، و فرغ النمرود إلى المجاز وموه على قومه ، فسلم له إبراهيم تسليم الجدل ، و انتقل معه من المثال ، و جاءه بأمر لا مجاز فيه (فبهت

(١) السمرقندي ، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، تحقيق :علي محمد عوض ؛ وعادل أحمد عبد الموجود ؛ و زكريا عبد المجيد النوي ، ط ١ (بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، ٢ / ٣٢٥ بتصرف .

(٢) سورة البقرة ، من الآية : ٢٥٨ .

(٣) الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ، د ، ط (عالم الكتب ، د ، ت) ، ١ / ٢٧٧ .

الذي كفر) أي : انقطعت حجته ، ولم يمكنه أن يقول : أنا الآتي بها من المشرق ، لأن ذوي الأبواب يكذبونه (١) .

ثالثا : جدال صالح عليه السلام مع قومه .

قال تعالى : (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ مَتَّبِعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَكْدُوبٍ (٦٥)) (٢) .

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ) أي : يأمر قومه بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له هو الذي خلقكم (مِنَ الْأَرْضِ) وذلك أن آدم خلق من الأرض و هم منه (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) أي : جعلكم عمّارها و سكانها (فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) ممن رجاه (مجيب) لمن دعاه ، (قالوا) أي : قوم ثمود (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا) القول أي كنا نرجو أن تكون فينا سيّدا ، وقيل : كنا نرجو أن تعود إلى ديننا (أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) من الآلهة (٣) ، و تتضمن المعارضة ما يلي :

١ - متمسكون على عقيدة الآباء ، ويعارضون كل دعوى تخالفها أو تحاول إبطالها .

(١) القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان ، تحقيق : عبد الله بن المحسن التركي ، ط ١ (بيروت - لبنان : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) ، ٤ / ٢٩٠ .

(٢) سورة هود ، الآيات : ٦١ ، ٦٥ .

(٣) الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد ، الكشف والبيان المعروف تفسير الثعلبي ، تحقيق : أبي محمد بن عاشور ، ط ١ (بيروت - لبنان : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) ، ٥ / ١٧٦ .

٢- ختموا تلك المعارضة بأنهم في شك مريب مما يدعوهم إليه وما دام الشك قائما فلا داعي لاتباع صالح عليه السلام حتى يرتفع هذا الشك و تنجلي الحقيقة (١) .

ثم رد عليهم صالح عليه السلام بقوله : قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (أي : برهان و يقين مني (وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ) أي : من علي برسالته ووحيه ، (فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ) أي : غير خسار و تباب و ضرر ، (وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ) كانت الناقة معجزة ، لها شرب من البئر يوما ، ثم يشربون كلهم من ضرعها ، ولهم شرب يوم معلوم ، (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) أي : ليس عليكم من مؤنتها و علفها شيء ، ولا تمسوها بعقر ف يأخذكم عذاب عاجل لا يتأخر عن إصابتكم إلا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ، ثم يقع عليكم ، فلم يسمعوا نصحه و كذبوه و عقروها بأمر قدار بن سالف ، فلما حان وقت أمرنا بالعذاب و الهلاك ، نجينا صالحا و المؤمنين معه برحمة منا ، و نجيناهم من عذاب شديد (٢) .

رابعا : جدال لوط عليه السلام مع قومه .

قال تعالى : (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ

(١) الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ١١ / ١٠٢ .

(٢) السعدي ، عبد الرحمن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويجق ، ط ١ (بيروت - لبنان : دار ابن حزم ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ، ص ٣٦٠ .

بَجْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَتَجِيئَاهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْعَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا
الْآخِرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ (١٧٣) (١) .

وقال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ
يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ
فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
(٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ
فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ
أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ
(٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) (٢) .

وتتخلص مواضع الجدل في الآيات السابقة في مطالب لوط عليه السلام الآتية :

١- تقوى الله تعالى و الإيمان برسالته .

٢- طاعته فيما يأمرهم به و ينهاهم عنه و هي من مقتضيات الإيمان بالرسالة .

٣- الإفلاع عن فاحشة اللواط التي هي الحقيقة مسخ للإنسانية .

٤- عرض بناته أو بنات قومه للزواج من هؤلاء المجرمين إذا كان باعث الشهوة الجنسية هو الحامل لهم على
فعل الفاحشة (٣) .

عرض عليهم لوط عليه السلام هذه المطالب ، فكذبوه و لم يستجيبوا بل هددوه بالطرده و الإبعاد إذا
استمر في دعوته كما حكى الله تعالى عنهم بقوله : (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ١٦٠ ، ١٧٣ .

(٢) سورة هود ، الآيات : ٧٧ ، ٨٣ .

(٣) الأملعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص ٢٧٢ .

مِنْ قَرَيْتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (١) ، ولما ألح عليهم في الدعوة ونهاهم عن فاحشتهم ردوا عليه ، فقالوا :
 (لَيْسَ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) أي : لئن لم تنته عما جئتنا به ، لننفيك من بين أظهرنا (٢) ،
 فكان عاقبة كذبهم (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ) أي :
 عالي قرى قوم لوط سافلها ، قلبها على هذه الهيئة ، و السجيل : الطين المتحجر ، منضود بعضه فوق
 بعض ، (مُسَوَّمَةٌ) المسومة التي لها علامة القوم الذين يرمون بها ، قيل : كان عليها أمثال الخواتيم ، وقيل :
 مكتوب على كل حجر اسم من رمي به ، (عِنْدَ رَبِّكَ) في خزائنه ، (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) أي :
 فهم لظلمهم مستحقون لها (٣) .

خامسا : جدال موسى عليه السلام مع فرعون وقومه .

قال تعالى : (وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ
 إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن
 كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ
 (١٠٨)) (٤) .

أي : لما دخل على فرعون ، (وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) إليك ، فقال فرعون :
 كذبت فقال موسى : (حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) أي : أنا خليق بأن لا أقول على الله إلا
 الحق ، (قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) يعني : العصا واليد ، فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي : أطلق عنهم و
 خلّهم يرجعون إلى الأرض المقدسة ، فطلب موسى من فرعون ثلاثة مطالب :

١- أن يقر فرعون بأن موسى من عند الله من خلال البيّنات و البراهين .

٢- أن يقر بتوحيد الله و ربوبيته ، وهي مهمة جميع الرسل لأقوامهم .

(١) سورة النمل ، الآية : ٥٦ .

(٢) الرفاعي ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، ٢٠ / ٣٦٨ .

(٣) الأشقر ، محمد سليمان عبدالله ، زبدة التفسير ، ص ٢٣١ .

(٤) سورة الأعراف ، الآيات : ١٠٤ ، ١٠٨ .

٣- أن يرسل معه بني إسرائيل (1) .

(قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) ، (فَأَلْقَى) موسى (عصاه) من يده (فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) أي : الثعبان الذكر العظيم من الحيات ، (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ) أي : أخرجها ، و قيل : من جيبه أو من جناحه ، كما قال تعالى : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) (2) أي : من غير برص ، ثم أعاد يده إلى جيبه فعادت إلى لونها الأول (3) .

فكان رد فرعون و قومه لموسى عليه السلام ساحر عليم ، قال تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) (4) ، وادعى فرعون بأنه سيأتي هو و قومه بسحر يغلب ما جاء به موسى ، وطلب من موسى تحديد الزمان و المكان لتلك المعركة الجدلية ، فاستجاب موسى عليه السلام لطلب فرعون حيث قال تعالى : (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحَى) (5) أي قال موسى عليه السلام : موعد الاجتماع يوم العيد (عيد النيروز) الذي يتزين فيه الناس ، و في وقت الضحى ، ليكون الاجتماع عاما في يوم يفرغ فيه الناس من أعمالهم ، و يجتمعون جميعا و يتحدثون نتيجة المباراة ، فتظهر الدعوة و تعلق كلمة الحق و يزهق الباطل ، و في نشاط أول النهار فلا يشكوا في المعجزة ، ويشاهدوا قدرة الله على ما يشاء (6) ، قال تعالى : (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى) (٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ

(١) البغوي ، أبي محمد الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، تحقيق : محمد عبد الله النمر ؛ وعثمان جمعة ضميرية ؛ و سليمان مسلم الحرش ، ط ١ (الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) ، ٣ / ٢٦٢ بتصرف .

(٢) سورة النمل ، من الآية : ١٢ .

(٣) القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، كتاب الجامع لأحكام القرآن ، د ، ط (القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٣٨ م) ، ٧ / ٢٥٧ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٠٩ .

(٥) سورة طه ، الآية : ٥٩ .

(٦) الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ١٦ / ٢٣٢ .

أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۗ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأَلْقَى السِّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَيْتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَئِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣) (١) .

هذا و إن المعركة بين موسى عليه السلام و فرعون لم تنته بهزيمة فرعون و قومه في يوم الزينة فقد استمر الصراع و الجدل بعد ذلك ، واستحكم العناد في نفوس آل فرعون ، قال تعالى : (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) (٢) ، فقد توعد فرعون موسى و من ءامن معه ، قال تعالى : (قَالَ سَتَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) (٣) ، وأمام هذا التهديد أخبرهم موسى عليه السلام بإهلاك فرعون ، وقوى قلوبهم بما وعدهم من خلافة الأرض ، ليمسكوا بالصبر ، ويتركوا الضجر و الجزع المذموم ، وقد تحقق الوعد بالإغراق (٤) ، قال تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لِعَافِلُونَ (٩٢)) (٥) .

(١) سورة طه ، الآيات : ٦٠ ، ٧٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٢ .

(٣) سورة الأعراف ، من الآية : ١٢٧ .

(٤) الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ٥٧ / ٩ .

(٥) سورة يونس ، الآيات : ٩٠ ، ٩٢ .

المطلب الثالث : الجدل في إثبات الرسالة المحمدية و شمولها .

أول ما نزل قوله تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ^(١) ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوة قومه إلى الله و لقي منهم التكذيب و المعارضة و الاضطهاد حينما جهر بالدعوة إلى الله .

فقط أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلوات بينه و بينهم ، وأخذ عليه الصلاة و السلام يعكر على خرافات الشرك ، ويذكر حقائق الأصنام ومالها من قيمة في الحقيقة ، ويضرب بعجزها الأمثال ، ويبين بالبينات أن من عبدها و جعلها و سيلة بينه و بين الله فهو في ضلال مبين ^(٢) .

ولما رأت قريش أن محمدا صلى الله عليه و سلم لا يصرفه عن دعوته شيء ، فكروا واختاروا لهذه الدعوة أساليب هي :

١- السخرية و التحقير .

٢- تشويه تعاليمه و إثارة الشبهات ، و بث الدعايات الكاذبة .

٣- معارضة القرآن بأساطير الأولين ^(٣) .

وفيما يلي نماذج من تلك الاعتراضات التي جادلوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حكى الله ذلك عنهم .

١- قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا

(٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ا كْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ

مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤ .

(٢) المباركفوري ، صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، د ط ، (دار إحياء التراث ، د ، ت) ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٣) المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) (١) .

معنى قوله : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي : كفار مكة ، (إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ) أي : ما القرآن إلا كذب اختلقه من ذات نفسه ، (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) أي : على الاختلاق و الافتراء (قَوْمٌ آخَرُونَ) يعنون بعض اليهود و النصارى ، (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) وقال بعضهم : هذا قول الله تعالى ردا على الكفار بقوله هذا (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) أي : شركا و كذبا ، (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا) أي : أباطل اكتتبها يعني أساطير الأولين ، (فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ) أي : تقرأ و تملي عليه ، (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أي : غدوة وعشية ، (قل) أي : يا محمد ، (أنزله) أي : القرآن ، (الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي : يعلم السر و العلانية ، ومعناه : لو كان هذا القول من ذات نفسه لعلمه الله تعالى و إذا علمه عاقبه ، كما قال تعالى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥)) (٢) ، ثم قال : (إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) أي : ارجعوا و توبوا فإنه كان غفورا لمن تاب رحيمًا بالمؤمنين (٣) .

ومعنى قوله تعالى : (وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ) أي : يعنون محمدا يزعم أن الله بعثه إلينا يأكل الطعام كما نأكل ، ويمشي في أسواقنا كما نمشي ، (لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ) أي : هلا أنزل إليه ملك إن كان صادقا ، فيكون معه منذرا للناس ، مصدقا له على ما يقول ، أو يلقي إليه كنز من فضة أو ذهب ، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش ، (أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ) أي : أو تكون له بستان (يَأْكُلُ مِنْهَا) ، (وَقَالَ الظَّالِمُونَ) أي : وقال المشركون للمؤمنين بالله و رسوله ، (إِنَّ تَتَّبِعُونَ) أيها القوم باتباعكم محمد إلا رجلا به سحر (٤) .
قد أبطل القرآن الكريم تلك الشبهات ورد عليها :

١ - قال تعالى : (وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذْ لَا زَنَابَ الْمُبْطِلُونَ) (٥) ادَّعُوا أَنْ

(١) سورة الفرقان ، الآيات : ٤ ، ٨ .

(٢) سورة الحاقة ، الآيتان : ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) السمرقندي ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، ٢ / ٤٥٣ .

(٤) الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ،

ط ١ (القاهرة : دار هجر ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، ١٧ / ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٨ .

هذا القرآن الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلف مكذوب ، واستعان على تجميعه بقوم آخرين ، ثم رد الله تعالى عليهم بالحجة و البرهان مما يقوي أن نزول هذا القرآن من عند الله ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يتلو كتابا ، ولا يخط حروفا ، ولا سبيل له إلى التعلم، ولو كان ممن يقرأ أو يخط ، لارتاب المبطلون و كان لهم في ارتياحهم معلق ، وأما ارتياحهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده (١) .

٢- قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) (٢) ، هذا رد على قولهم : (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) بعد أن رد عليهم قولهم : (أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ حَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا) بقوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُورًا) (٣) .

ولكن لما كان قولهم : (أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ) أي : حالة لم تعط للرسول في الحياة الدنيا كان رد قولهم فيها بأن الله أعطاه خيرا من ذلك في الآخرة ، فقد توسلوا به إلى إبطال رسالته بثبوت صفات البشر له ، فكان الرد عليهم بأن جميع الرسل كانوا متصفين بصفات البشر ، ولم يكونوا مشركين وجود رسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد قالوا : (فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) (٤) ، وإذا كانوا موجودين بالضرورة كانوا يأكلون الطعام إذ هم من البشر و يمشون في أسواق المدن والبادية لأن الدعوة تكون في مجامع الناس ، وقد قال تعالى على لسان موسى : (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضُحًى) (٥) ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو قريشا في مجامعهم و نواديهم و يدعو سائر العرب في عكاظ و في أيام الموسم (٦) .

و أيضا من أمثلة القرآن الكريم في الرد على الشبهات حول النبي صلى الله عليه وسلم ، قوله تعالى : (وَمَا

(١) الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق : علي محمد معوض ؛ عادل أحمد الموجد ، د ، ط (بيروت - لبنان : دار إحياء التراث العربي ، د ، ت) ، ٤ / ٢٩٩ .

(٢) سورة الفرقان ، من الآية : ٢٠ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ١٠ .

(٤) سورة الأنبياء ، من الآية : ٥ .

(٥) سورة طه ، الآية : ٥٩ ..

(٦) ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير و التنوير ، د ، ط (تونس : الدار التونسية للنشر ، د ، ت) ، ١٨ / ٣٤٣ .

كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (١) أي : وما جعلنا لرسول من أرسلناه قبلك أن يأتي قومه بآية فاصلة بينه وبينهم إلا بإذن الله له بذلك فيأتيهم بها ، يقول جل ثناؤه لنبيه : فلذلك لم نجعل لك أن تأتي قومك بما يسألونك من الآيات دون إذننا لك بذلك ، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به (٢) .

٢- قال تعالى : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) (٣) ، (وقالوا) أي : مشركي مكة ، (يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) أي : القرآن و أرادوا به محمد صلى الله عليه وسلم ، (إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) أي : وصفوه بالجنون ، وذكروا تنزيل الذكر على سبيل الاستهزاء (٤) .

و قد نزل القرآن وفيه تسليية لرسول صلى الله عليه وسلم و إشعار أن كل نبي تعرض لمثل هذه المفتريات (٥) ، قال تعالى : (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ) (٦) .

٣- لم يقف مشركو العرب وحدهم ضد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، بل وقف اليهود و النصارى ضده ، فقد حكى القرآن الكريم عن اليهود و النصارى و شبههم و الرد عليها ، قال تعالى : (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهِدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ

(٤) سورة غافر ، من الآية : ٧٨ .

(٥) الطبري ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٣٦٩/٢٠ .

(٦) سورة الحجر ، الآية : ٦ .

(٧) البغوي ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، ٣٦٩/ ٤ .

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٧ / ٤٢٥ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٣ .

(٤) الطبري ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٦ / ٢٨٤ .

وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) (٣) .

(الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ) أي : أوصانا و تقدم إلينا في كتبه ، وعلى ألسنة أنبيائه ، (ألا نؤمن) أي : ألا نصدق رسولا فيما يقول أنه جاء به من عند الله ، من أمر و نهي و غير ذلك ، (حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ) أي : حتى يجيئنا بقربان ، وهو ما تقرب به العبد إلى ربه من صدقة ، وهو مصدر من قربت قربانا ، (تَأْكُلُهُ النَّارُ) أي : لأن أكل النار ما قربه أحدهم لله في ذلك الزمان كان دليلا على قبول الله منه ما قرب له ، ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال (٤) .

و قد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم ، قال تعالى : (قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أي : أنهم يطلبون هذه المعجزة لا على سبيل الاسترشاد ، بل على سبيل التعنت ، وذلك لأن أسلاف هؤلاء اليهود طلبوا هذا المعجز من الأنبياء مثل : زكريا و يحيى و عيسى عليهم السلام ، وهم أظهروا هذا المعجز ، ثم سعوا في قتل زكريا و يحيى ، ويزعمون أنهم قتلوا عيسى عليه السلام ، و هذا يقتضي كون هؤلاء في طلب المعجز من محمد عليه الصلاة والسلام متعنتين ، وهذا الجواب شاف عن هذه الشبهة (١) .

٤- قال تعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٢) .

أمر الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يياهل أي يلاعن من عاندا الحق في أمر عيسى عليه السلام بعد ظهور البيان ، فكان ذلك رد عليهم ، عن حذيفة رضى الله عنه قال : جاء العاقب و السيد صاحبنا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه ، قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فو الله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالوا : إنا نعطيك ما سألتنا ، وبعث معنا رجلا أميننا ، ولا تبعث معنا إلا أميننا ، فقال : (لا

(١) الرازي ، فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ط ١ (دار الفكر العربي ، ١٤٠١ هـ -

١٩٨١ م) ، ٩ / ١٢٦ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

يبعث معكم رجلا أميناً حق أميناً) . فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (قم يا أبا عبيدة بن الجراح) فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هذا أمين هذه الأمة) (١) .

أختم المطلب الثالث بقوله تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)) (٢)

تدل الآيتان السابقتان على ما يلي :

- ١- ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء ، بشروا أممهم ببعثته وأمروهم بمتابعته و لم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم و أحبارهم .
- ٢- شمول الرسالة المحمدية للعربي و الأعجمي و الأبيض و الأسود مبعوث إلى الناس كافة (٣)

المطلب الرابع : الجدل في البعث و الجزاء .

منهج القرآن في استدلاله على البعث :

- ١- قال تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)) (٤) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب أهل بخران ، ٧٤٣ / ١ ، رقم الحديث ١٠٧٤ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) الرفاعي ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، ٢٤٤ / ٩ ، ٢٤٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآيتان : ٥٥ ، ٥٦ .

قال النحاس : وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش ، واحتجاج على أهل الكتاب إذ خبروا بهذا^(١) ، ومعنى قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ) أي : لن نصدقك ، (حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً) أي : عيانا ، وذلك أن موسى عليه السلام حين انطلق إلى طور سيناء للمناجاة اختار موسى من قومه سبعين رجلا ، فلما انتهوا إلى الجبل أمرهم موسى بأن يمكثوا في أسفل الجبل و صعد موسى عليه السلام فناجى ربه فأعطاه الله الألواح ، فلما رجع إليهم قالوا له : إنك قد رأيت الله فأريناه حتى ننظر إليه ، فقال لهم : إني لم أره ، وقد سألته أن أنظر إليه ، فتجلى للجبل ، فدك الجبل ، فلم يصدقوه ، وقالوا : نصدقك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا كلهم فدعا موسى ربه فأحياهم الله تعالى : (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي : للحياة بعد الموت^(٢) .

٢ - قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبِ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧))^(٣) .

ألزم الله الحجة على منكري البعث فقال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) في شك ، (مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ) أي : أباكم آدم الذي هو أصل النسل ، (مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ) أي : ذريته ، و النطفة هي المني ، و أصلها الماء القليل ، (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) أي : الدم الغليظ المتجمد ، وذلك أن النطفة تصير دما غليظا ثم تصير لحما ، (ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ) وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ ، (مُخَلَّقَةٍ) أي : تامة ، (وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) أي : غير تامة وهو السقط و يقال : مصورة و غير مصورة ، (لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ) أي : كمال قدرتنا و حكمتنا في

(١) القرطبي ، كتاب الجامع لأحكام القرآن ، ١١٦ / ٢ .

(٢) السمرقندي ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، ١٢٠ / ١ .

(٣) سورة الحج ، الآيات : ٥ ، ٧ .

تصريف أطوار خلقكم و لتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة ، (وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ) أي : فلا يكون سقطا ، (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أي : يعني وقت خروجه من بطن أمه ، (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ) أي : من بطون أمهاتكم ، (طِفْلًا) أي : صغارا ، ولم يقل : أطفالا ، لأن العرب تذكر الجمع باسم واحد، (ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) أي : الكمال و القوة ، (وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّئُ) أي : من قبل بلوغ الكبر ، (وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ) أي : الهرم ، (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) أي : يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا^(١) .

(وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، كما يحيى الأرض الميتة الهامدة ، وهي القحلة التي لا تنبت فيها شيء ، (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) أي : فإذا أنزل الله عليها المطر (اهْتَزَّتْ) أي : تحركت بالنبات ، (وَرَبَّتْ) أي : ارتفعت ثم أنبتت ما فيها من ثمار وزروع، وأشتات النباتات في اختلاف ألوانها و طعومها ، وأشكالها ومنافعها ، ولهذا قال تعالى : (وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) أي : حسن المنظر طيب الريح^(٢) .

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي : ذلك الذي ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم ، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد و بعده ، طفلا ، و كهلا و شيخا هرما ، وعلى فعلنا بالأرض الهامدة بما نزل عليها من الغيث ، لتؤمنوا و تصدقوا بأن الذي فعل ذلك هو الله تعالى لا شك فيه ، وأن ما سواه مما تعبدون من الأوثان و الأصنام باطل ، لأنها لا تضر ولا تنفع ، وتعلموا أن القدرة التي جعل بها هذه الأشياء العجيبة ، لا يتعذر عليها أن يحيى بها الموتى بعد فنائها ، وأن كل ما أراد و شاء من شيء قادر لا يمتنع عليه شيء أراده ، ولتوقنوا بذلك أن الساعة التي وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم آتية لا محالة (لَا رَيْبَ فِيهَا) أي : لا شك في مجيئها ، (وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ

(١) البغوي ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، ٣٦٦/٥ ، ٣٦٧ ، وينظر : السمرقندي ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، ٣٨٥/٢ ، ٣٨٦ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٧ ، ٣٩٨ .

في القُبُورِ) أي : من فيها من الأموات أحياء إلى موقف الحساب ، فلا تشكوا في ذلك ، ولا تموتوا فيه^(١) .

٣- قال تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي

أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩))^(٢) .

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ) أي : بدء أمره ، (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أي : بالية ، (قُلْ يُحْيِيهَا

الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي : من غير شيء ، فهو قادر على إعادتها في النشأة الثانية من شيء ، وهو

عجم الذنب ، و يقال : عجب الذنب بالباء ، (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) أي : كيف يبدئ و يعيد^(٣) .

٤- قال تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۗ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا

الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)^(٤) .

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) أي : هي الوفاة الكبرى ، وفاة الموت ، (وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أي :

وهي الموتة الصغرى ، النوم ، أي : يمسك النفس التي لم تمت في منامها فيمسك من هاتين النفسين :

النفس (الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ) و هي نفس من كان مات ، أو قضى أن يموت في منامه ، (وَيُرْسِلُ)

النفس ، (الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)^(٥) أي : استكمال رزقها و أجلها ، وهذه الآية دليل على أن أرواح

الأحياء و الأموات تتلاقى في البرزخ ، فتجتمع ، فيرسل الله أرواح الأحياء و يمسك أرواح الأموات^(٦) .

المطلب الخامس : الجدل في التشريعات .

قال تعالى : (وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ)^(٧) .

تبديل الآية مكان الآية : هو النسخ ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع ، لأنها مصالح و ما كان مصلحة

أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم ، و الله تعالى عالم بالمصالح و المفسد ، فيثبت ما يشاء و ينسخ ما

(١) الطبري ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٦ / ٤٦٨ .

(٢) سورة يس ، الآيتان : ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) القرطبي ، كتاب الجامع لأحكام القرآن ، ١٧ / ٤٩٠ .

(٤) سورة الزمر ، من الآية : ٤٢ .

(٥) سورة الزمر ، من الآية : ٤٢ .

(٦) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٦٩٢ .

(٧) سورة النحل ، من الآية : ١٠١ .

يشاء بحكمته ، وهذا معنى قوله تعالى : (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) ، فطعنوا في ذلك لجهلهم و بعدهم عن العلم بالناسخ و المنسوخ^(١) .

أولا : جدال المشركين في تحويل القبلة .

١- ما يزال القرآن يتصدى لما كان عليه اليهود و إن شاركهم فيه غيرهم من المشركين كإنكار تحويل القبلة و النسخ ، لقد مهد الله تعالى لهم تحويل القبلة في قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ)^(٢) ، مهد لهم حتى لا يفاجأ المسلمون بشيء من حملات التشويش و التشكيك ، فأوضح تعالى أن سفهاء الأحلام و ضعفاء العقول و الإيمان من طوائف اليهود و المشركين و المنافقين سيقولون منكرين متعجبين : أي شيء صرف المسلمين عن قبلتهم التي كانوا عليها ، وهي قبلة الأنبياء .

أما اليهود فساءهم ترك الاتجاه لقبلتهم ، وأما المشركون فقصدوا الطعن في الدين ، وأما المنافقون فشأنهم انتهاز الفرص لزرع الشكوك في الدين^(٣) .

٢- قال تعالى : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)^(٤) . معنى قوله تعالى : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) أي : رفع بصرك إلى السماء ، وكان عليه الصلاة و السلام يتردد نظره في جهة السماء ، حيناً بعد حين ، متشوقاً للوحي ، متلهفاً لتحويل القبلة إلى الكعبة ، (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ) أي : فلنحولنك و لنوجهنك في الصلاة ، (قِبْلَةً تَرْضَاهَا) أي : تهواها و تميل نفسك إليها ، فأمره الله تعالى بالتوجه فقال : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يعني : نحوه و تلقاه ، (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) أي : إلى الكعبة ، (وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) ثم عاد

(١) الزمخشري : أبي القاسم محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ؛ والشيخ علي محمد عوض ، ط ١ (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) ، ٣ / ٤٧٣ .
(٢) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٣ .
(٣) الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ٢ / ٨ .
(٤) سورة البقرة ، من الآية : ١٤٤ .

القرآن لمناقشة أهل الكتاب الذين أوتوا التوراة و الإنجيل ليعلمون علما أكيدا بما أنزل إليهم في كتبهم في شأن النبي صلى الله عليه وسلم و البشارة به ، و أنه سيصلي إلى القبلتين : بيت المقدس ، و قبلة أبيه إبراهيم الذي أمر أن يتبع ملته ، أن تحويل القبلة حق لا شك ، وأنه أمر الله ، ولكنهم دأبوا على إنكار الحق و ترويع الباطل^(١) .

وقال تعالى في شأن تحويل إلى بيت الله الحرام : (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠))^(٢) ، تكرر الأمر باستقبال النبي صلى الله عليه و سلم الكعبة ثلاث مرات ، والقصد من ذلك التنويه بشأن استقبال الكعبة و التحذير من التساهل في ذلك ، و زيادة التأكيد في الرد على المنكرين ، فقوله : (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) أي : شرعت لكم ذلك لندحض حجة الأمم عليكم^(٣) .

ثانيا : جدال المشركين في الذبائح .

١- الذبح قربة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى ، فإن الله تعالى قرن بين الصلاة و الذبح في آيتين من القرآن الكريم ، و أمر نبيه محمد صلى الله عليه و سلم أن يصرف هذه الأشياء لله تعالى ، فقال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٢))^(٤) ، وقال تعالى : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَر)^(٥) ، ومعنى نسكي : أي ذبحي ، والنحر : ذبح المناسك ، خص الله تعالى العبادتين بالذكر لأنها من أفضل العبادات و أجل القربات ، ولأن الصلاة

(١) السمرقندي ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، ١ / ١٦٥ ، وينظر : الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ٢ / ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآيتان : ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٣) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ٢ / ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) سورة الأنعام ، الآيتان : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٥) سورة الكوثر ، الآية : ٢ .

تتضمن الخضوع في القلب و الجوارح لله ، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر ، و إخراج المال ^(١) .

ذكر الزمخشري في تفسير سورة الفاتحة أن العرب كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون : باسم اللات باسم العزى ، و فيه إشراك و اعتماد على غير الله ، فقد عده القرآن الكريم من المحرمات ^(٢) ، كما قال تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحُنْزِيرُ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ) ^(٣) ، ينهى الله عباده عن تعاطي هذه المحرمات من (المَيْتَةُ) وهي ما مات من الحيوانات بغير ذكاه لما في ذلك من ضرر ، (والدم) أي : المسفوح ، (وَالْحُنْزِيرُ) ، (وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) أي : ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله ، فهو حرام لأن الله تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم ، (الْمُنْخَنِقَةُ) أي : أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها ، (وَالْمَوْقُوذَةُ) وهي التي تضرب بشيء ثقيل حتى تموت ، (وَالْمُتَرَدِّيَةُ) هي التي تسقط من جبل فتموت ، (وَ النَّطِيحَةُ) هي التي تنطحها غيرها فتموت ، (وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ) أي : أسد أو نمر أو ذئب فأكل بعضها فماتت بذلك ، فهي حرام ، (إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) يعني : إلا ما ذكيتم من المنخنقة و الموقوذة و المتردية و النطيحة و ما أكل السبع ^(٤) ، (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) قال مجاهد و ابن جريح : كانت النصب حجارة حول الكعبة ، وهي ثلاثمائة و ستون نصبا كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها و ينضحون ما أقبل منها إلى البيت ، بدماء تلك الذبائح ، ويشرحون اللحم و يضعونها على النصب ، فنهى الله المؤمنين على هذا الصنيع ، (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) الأزلام قدام الميسر واحد زلم ، والأزلام للعرب ثلاثة أنواع : أحدهما مكتوب فيه افعال و الآخر مكتوب فيه لا تفعل ، و الثالث مهمل لا شيء عليه فيجعلها في خريطة معه ، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده وهي متشابهة فأخرج واحد منها ، فإن

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٨٩٥ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ١ / ١٠١ .

(٣) سورة المائدة ، من الآية : ٣ .

(٤) الرفاعي ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، ٦ / ٥ ، ٦ ، وينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر

بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ١١ / ١٣٥ ، ١٣٦ .

خرج الأول فعل ما عزم عليه ، و إن خرج الثاني تركه ، وإن خرج الثالث أعاد الضرب حتى يخرج واحد من الأولين ، و قيل لهذا الفعل استقسام لأنهم كانوا يستقسمون به الرزق و ما يريدون فعله ، و جملة قدام الميسر عشرة ، فحرم الله تعالى الاستقسام بالأزلام لأنه تعرض لدعوى علم الغيب و ضرب الكهانة ، (ذَلِكُمْ فِسْقٌ) إشارة إلى الاستقسام بالأزلام أو إلى جميع المحرمات المذكورة هنا ، و الفسق : الخروج عن الحد^(١).

٢- قال تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)^(٢) .

قال ابن عباس رضى الله عنها : الآية في تحريم الميتات و ما في معناها من المنخقة و غيرها . وقال عطاء : الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام . و اختلف أهل العلم في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها ، فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عامدا أو ناسيا ، وهو قول ابن سيرين و الشعبي ، واحتجوا بظاهر هذه الآية .

وذهب قوم إلى تحليلها ، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك و الشافعي و أحمد ، وذهب قوم إلى أنه إن ترك التسمية عامدا لا يحل ، وإن تركها ناسيا يحل ، حكى الخرقى من أصحاب أحمد : أن هذا مذهبه ، وهو قول الثوري و أصحاب الرأي^(٣) .

(وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) أي : يعود الضمير في (وإنه) يرجع إلى (ما) بتقدير مضاف : أي و إن أكل ما لم يذكر لفسق ، ويجوز أن يرجع إلى مصدر تأكلوا : أي فإن الأكل لفسق ، و الفسق : الخروج عن الحد ، (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) أي : يوسوسون لهم بالوساوس المخالفة للحق المبينة للصواب قاصدين بذلك أن يجادلكم هؤلاء الأولياء بما يوسوسون لهم، (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) فيما يأمرونكم به و

(١) الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ، ٢ / ١٠ ، وينظر : الرفاعي ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، ٦ / ٩ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١ .
(٣) البغوي ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، ٣ / ١٨٣ .

ينهونكم عنه (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) مثلهم (١) .

قال تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۗ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (٢) .

الكلام مع الكفار العرب ، أي جعلوا الله سبحانه وتعالى مما خلق من زروعهم و ثمار أشجارهم و نتاج دوابهم نصيبا ، ولآلهتهم نصيبا من ذلك ، يصرفون إلى سدننها و القائمين بخدمتها ، فإذا ذهب ما لآلهتهم بإنفاقه في ذلك ، عوضوا عنه ما جعلوه لله ، وقالوا :الله غني عن ذلك ، (فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ) أي : إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالصدقة ، وصلة الرحم ، وقرى الضيف (وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ) أي : يجعلونه لآلهتهم و ينفقونه في مصالحها (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) في إثثار آلهتهم على الله سبحانه (٣) .

٤- قال تعالى : (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) (٤) المعنى : أنهم كانوا ينسبون تحليل الشرائع و تحريمها إلى الله تعالى ، ويقولون : أمرنا بذلك و هذا افتراء على الله الكذب ، (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال ابن عباس : بل متاع كل الدنيا قليل ، ثم يردون إلى عذاب أليم (٥) .

و اكتفي بهذا القدر من الآيات التي ورد فيها التشريعات .

(١) الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ، ١٥٨ / ٢ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٣٦ .

(٣) الأشقر ، زبدة التفسير ، ص ١٤٥ .

(٤) سورة النحل ، الآيتان : ١١٦ ، ١١٧ .

(٥) الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ١٣٤ / ٢٠ .

المبحث الثاني

الجدال في موضوعات مختلفة .

و يشتمل على ثمانية مطالب :

المطلب الأول : جدال ابني آدم .

المطلب الثاني : جدال إبراهيم عليه السلام في قوم لوط .

المطلب الثالث : جدال بين موسى والخضر عليهما السلام .

المطلب الرابع : جدال بين فقير صابر وغني كافر .

المطلب الخامس : جدال مؤمن آل فرعون مع قومه .

المطلب السادس : جدال اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام .

المطلب السابع : جدال خولة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها أوس .

المطلب الثامن : جدال المنافقين للمؤمنين .

المبحث الثاني : الجدل في موضوعات مختلفة .

يدور هذا البحث على نماذج من الجدل الذي حكاه القرآن الكريم في موضوعات مختلفة نوجزها فيما يلي :

المطلب الأول : جدال ابني آدم .

قال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا اسْمِعُوا لِقَاءَ رَبِّكُمْ إِنَّهُمْ يُسْمَعُونَ) (٢٧) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ۗ إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ۗ وذلك جزاء الظالمين (٢٩) فطوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۗ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) (١) .

بين الله تعالى في الآيات عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه _ في قول الجمهور _ وهما هابيل و قابيل كيف عدا أحدهما على الآخر ، فقتله بغيا عليه و حسدا له ، فيما وهبه الله من النعمة و تقبل القربان الذي أخلص فيه الله عز وجل ، ففاز المقتول بوضع الآثام و دخول الجنة ، وخاب القاتل و رجع بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة (٢) ، فقال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا اسْمِعُوا لِقَاءَ رَبِّكُمْ إِنَّهُمْ يُسْمَعُونَ) أي : اقرأ يا محمد ، واقصص على هؤلاء البغاة الحسدة من اليهود و أمثالهم خبر ابني آدم ، وهما قابيل و هابيل ، وفي رأي جماعة من السلف و الخلف ، اقرأ و اتل ذلك عليهم بالحق ، أي بالبيان الصحيح الواقعي الواضح الذي لا كذب (٣) ، كما قال تعالى : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) (٤) .

وسبب القصة : أن حواء عليها السلام ولدت غلاما و جارية في بطن واحد ، قابيل و أخته إقليما ، ثم ولدت في بطن آخرها هابيل و أخته ليوذا ، فلما كبروا أمر الله تعالى بأن يزوج كل واحد منهما أخت صاحبه ، وكانت أخت قابيل أحسن فأبي قابيل و قال : بل زوج كل واحد منا أخته ، فقال آدم : إن الله تعالى

(١) سورة المائدة ، الآيات : ٢٧ ، ٣١ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٨١ .

(٣) الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ٦ / ١٥٣ .

(٤) سورة آل عمران ، من الآية : ٦٢ .

أمرني بذلك ، فقال له قاييل : إن الله تعالى لم يأمرك بهذا ، ولكنك إلى هاييل ، فأمرهما بأن قربا قربانا ، فأيكما تتقبل قربانه ، كان أحق بما فعمد قاييل ، وكان صاحب زرع إلى شر زرعه ، ووضعه عند الجبل وعمد قاييل ، وكان صاحب مواشي إلى خير غنمه ، فوضعها عند الجبل ، وكان قاييل يضم في قلبه أنه إن تقبل منه أولم يتقبل لا يسلم إليه أخته ، فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هاييل ، وكان ذلك علامة القبول ، وتركت قربان قاييل ، فذلك قوله : إذ قربا قربانا يعني وضعا قربانا (فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا) يعني : هاييل (وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ) يعني : قاييل^(١) .

والمشهور عند الجمهور أن الذي قرب الشاة هو هاييل ، وأن الذي قرب الطعام هو قاييل ، وأنه تقبل من شاته ، حتى قال ابن عباس وغيره : إنه الكبش الذي فدى به الذبيح ، وهو مناسب ، ولم يتقبل من قاييل ، كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف ، وهو المشهور عن مجاهد أيضا^(٢) .

ثم بدأ الجدال من قاييل بالتهديد والوعيد (قَالَ أَقْتُلَنَّكَ) أي : قاييل أنه قال لهاييل لأقتلنك ، فقال هاييل : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) وفي الكلام حذف ، والتقدير : كأن هاييل قال : لم تقتلني ؟ قال قربانك صار مقبولا ، فقال هاييل : وما ذني ؟ إنما يتقبل الله من المتقين^(٣) .

ومعنى قوله : (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ) أي : إن الله عز ذكره قد كان حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما ، وأن المقتول قال لأخيه : ما أنا بباسط يدي إليك إن بسطت إلي يدك . لأنه كان حراما عليه من قتل أخيه مثل الذي كان حراما على أخيه القاتل من قتله ، فأما الامتناع من قتله حين أراد قتله ، فلا دلالة على أن القاتل حين أراد قتل وعزم عليه ، كان المقتول عالما بما هو عليه عازم منه و محاول من قتله ، فترك دفعه عن نفسه .

و قد ذكر جماعة من أهل العلم أنه قتله غيلة ، اغتاله و هو نائم ، شج رأسه بصخرة فإذا كان ذلك ممكنا ، ولم يكن في الآية دلالة على أنه كان مأمورا بترك منع أخيه من قتله ، لم يكن جائزا ادعاء ما ليس في الآية

(١) السمرقندي ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، ١ / ٤٢٩ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٨٥ .

(٣) الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ١١ / ٢١١ .

إلا ببرهان يجب تسليمه ، (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) و الخائف لله لا يقدم على الذنوب خصوصا الذنوب الكبار ، (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) معناه : إني أريد أن تبوء بإثمي من قتلك إياي ، و إثمك من معصيتك الله ، (فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۗ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) دل أن القتل من كبائر الذنوب ، وأنه موجب لدخول النار^(١) .

(فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ) قال ابن عباس : بعثته على قتله ، وقال أيضا هو و مجاهد : شجعتة ، وقال الأخفش : رخصت ، وهذه أقوال متقاربة المعنى ، وهو من فعل الطوع ، وهو الانقياد ، والمعنى : أن القتل في نفسه مستعصب عظيم على النفوس ، فردّته هذه النفس اللوح الأمانة بالسوء ، طائعا منقادا حتى أوقعه صاحب هذه النفس ، (فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ) قال ابن عباس : خسر الدنيا بإسخط و الديه وبقائه بغير أخ ، و في الآخرة بإسخط ربه و صيرورته إلى النار^(٢) .

(فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ) أي : لما رأى قابيل ذلك قال ياويلتنا كلمة تحير فقيل لما رأى الدفن من الغراب أنه أكبر علما منه وأن ما فعله كان جهلا فندم و تحسر ، (قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي) أي : جيفته ، وقيل : عورته لأنه كان قد سلب ثيابه ، (فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) على حمله على عاتقه لا على قتله ، و قيل : على فراق أخيه ، وقيل ندم لقلة النفع بقتله فإنه أسخط والديه ، وما انتفع بقتله شيئا ولم ندمه على القتل وركوب الذنب^(٣) .

ولا يحدد السياق القرآني لا زمان ولا مكان ولا أسماء القصة ، وعلى الرغم من ورود بعض الآثار والروايات عن قابيل وهابيل وأخهما هما ابنا آدم في هذه القصة ، ووردت تفصيلات عن القضية بينهما ، والنزاع عن أختين لهما ، إنه يؤثر أن يستبقي القصة _ كما وردت _ مجملة بدون تحديد ، لأن هذه الروايات كلها موضع شك في أنها مأخوذة عن أهل الكتاب _ والقصة واردة في العهد القديم محددة فيها الأسماء والزمان

(١) الطبري ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٨ / ٣٣٠ ، وينظر : السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٢٠٧ .

(٢) أبي حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ؛ وعلي محمد معوض ، ط ١) بيروت _ لبنان : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ _ ١٩٩٣ م ، ٣ / ٤٧٩ .

(٣) البغوي ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، ٣ / ٤٤ .

والمكان على النحو الذي تذكره الروايات _ والصحيح عن هذا النبأ لم يرد فيه تفصيل ، وأن الحادث وقع في فترة طفولة الإنسان ، وأنه كان أول حادث قتل عدواني متعمد ، وأن الفاعل لم يكن يعرف طريقة دفن الجثث ... وبقاء القصة مجملة _ كما وردت في سياقها القرآني _ يؤدي الغرض من عرضها ، ويؤدي الإيحاءات كاملة ، ولا تضيف التفاصيل شيئاً إلى هذه الأهداف الأساسية ... لذلك يقف الإنسان عند النص العام لا يخصصه ولا يفصله (١) .

المطلب الثاني : جدال إبراهيم عليه السلام في قوم لوط.

١ - قال تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرٌ مَرْدُودٍ (٧٦)) (٢) .

(فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) الخوف ، (وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى) بإسحاق و يعقوب ، (يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) قال عامة أهل التفسير معناه : يجادل رسلنا وذلك أنهم لما قالوا : إنا مهلكوا أهل هذه القرية ، قال لهم : أريتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين أتهلكوهم ، قالوا : لا ، فقال إبراهيم : وأربعون ؟ قالوا : لا ، قال : أو ثلاثون ؟ قالوا : لا ، قال : حتى بلغ عشرة ، قالوا : لا ، فقال : خمسة قالوا : لا ، قال : أريتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونه ؟ قالوا : لا ، فقال إبراهيم عند ذلك : إن فيها لوطا ، فقالوا : نحن أعلم بمن فيها لننجينه و أهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٣) .

(حَلِيمٌ) أي : الموصوف بالحلم وهو صف تقتضي الصفح و احتمال الأذى ، (أَوَّاهٌ) أصله الذي يكثر التأوه ، وهو قول : أوه . وأوه : اسم فعل نائب مناب أتوجع ، وهو هنا كناية عن شدة اهتمامه بجموم الناس ، (مُنِيبٌ) من أناب إذا رجع ، والمراد التوبة من التقصير ، أي محاسب نفسه على ما يحذر منه ،

(١) سيد قطب ، ابراهيم حسين الشاذلي ، كتاب في ظلال القرآن الكريم ، ط ٣٢ (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) ، ٨٧٥/٦ .

(٢) سورة هود ، الآيات : ٧٤ ، ٧٦ .

(٣) الثعلبي ، الكشف والبيان المعروف تفسيرا الثعلبي ، ١٨٠ / ٥ .

وحقيقة الإنابة : الرجوع إلى الشيء بعد مفارقتة و تركه^(١) .

(يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) أي : دع عنك الجدل في قوم لوط ، (إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ

عَذَابٌ غَيْرٌ مَرْدُودٍ) أي : عذابه لهم ، غير مصروف عنهم ولا مدفوع .

وعلى هذا تكون مجادلة إبراهيم عليه السلام في قوم لوط بسبب مقام لوط بينهم شفقة عليه و خشية أن

يعمه الهلاك معهم^(٢) .

والصحيح أن هذه الصفات كلها قد ادعت إبراهيم أن يجادل الملائكة في مصير قوم لوط وإن كنا لا نعلم

كيف كان هذا الجدل لأن النص القرآني لو يفصله ، فجاء الرد بأن الله فيهم قد قضى وأنه لم يعد للجدال

بجال^(٣) .

المطلب الثالث : الجدل بين موسى و الخضر عليهما السلام .

قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ

بَيْنَهُمَا نِسِيَا خُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ

سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

أَذْكُرُهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا فَقَصَصَا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا

مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا

عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ

لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا

(٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا

(٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَهُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ

(١) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ١٢ / ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) القرطبي ، كتاب الجامع لأحكام القرآن ، ١١ / ١٧٣ بتصرف .

(٣) سيد قطب ، كتاب في ظلال القرآن الكريم ، ١٢ / ١٩١٣ .

أَمْ أَقُلُّ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) (١) .

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) أي : وجد موسى وفتاه عبدا صالحا من عباد الله هو الخضر ، علمه الله سبحانه و تعالى من علم الغيب الذي استأثر به . ثم قصَّ الله سبحانه ما دار بين موسى و الخضر بعد اجتماعهما فقال : (قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) في هذا السؤال ملاحظة ومبالغة في حسن الأدب ، لأنه استأذنه أن يكون تابعا له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم ، والرشد والوقوف على الخير وإصابة الصواب . (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) أي قال الخضر لموسى : إنك لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي ، لأن الظواهر التي هي علمك لا توافق ذلك (٢) ، ثم أكد ذلك مشيرا إلى عدم الاستطاعة ، فقال : (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) أي : كيف تصبر على علم ظاهر منكر وأنت لا تعلم ، ولم تطلع حكمته ومصلحته الباطنة وحقيقة أمره التي اطلعت أنا عليها دونك . (قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) أي قال موسى : ستجدني بمشيئة الله صابرا على ما أرى من أمورك ، ولا أخالفك في شيء . (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) أي قال الخضر شارطا على موسى : إن سرت معي ، فلا تسألني عن أمر يحدث حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألني (٣)

قصة السفينة :

قال تعالى : (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا) أي : انطلق موسى وصاحبه مع الخضر ، يمشيان على ساحل البحر ، يطلبان سفينة ، فاقتلع الخضر منها لوحا ، وكان له مقصود من ذلك سببينه ، فلم

(١) سورة الكهف ، الآيات : ٦٠ ، ٧٨ .

(٢) الشوكاني ، فتح القدير ، ٣ / ٢٩٩ .

(٣) الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ص ٢٩٤ .

يصبر موسى عليه السلام ، لأن ظاهره منكر ، عيب للسفينة و سبب لغرق أهلها ، ولهذا قال موسى : (قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) أي : عظيما شنيعا ، وهذا من عدم صبره عليه السلام ، فقال له الخضر : (قَالَ أُمِّ أُمَّ أَقْلَ إِنْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) أي : وقع كما أخبرتك ، وكان هذا من موسى نسيانا ، (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) أي : لا تعسر علي الأمر ، واسمح لي ، فإن ذلك وقع على وجه النسيان ، فلا تؤاخذني في أول مرة .

قصة الغلام :

(فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ) صغيرا ، (فقتله) الخضر ، فاشتد بموسى الغضب ، (قَالَ أَقْتَلْتَنَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) أي : جئت شيئا أنكر من الأول ، لأن الأول كان خرقا يمكن تداركه بالسد ، ولكن القتل لا سبيل إلى المداركة .

(قَالَ أُمِّ أُمَّ أَقْلَ لَكَ إِنْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) زيادة لك للمكافحة بالعتاب على رفض الوصية . (قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا) أي فقال له موسى : إن سألتك بعد هذه المرة (فَلَا تُصَاحِبْنِي) أي : فأنت معذور بذلك ، وبترك صحبتي ، (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) أي : أعذرت مني .

قصة أهل القرية .

(فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا) أي : استضافاهم فلم يضيفوهما ، (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ) أي : قد عاب و استهدم ، (فَأَقَامَهُ) قيل : أقامه بيده ، وقيل : نقضه وبناه ، (قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) أي : طلبت على عملك جعلًا حتى نتعيش و نستدفع به الضرورة . (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ) فإنك شرطت ذلك على نفسك ، فلم يبق الآن عذر ، ولا موضع للصحبة . هذا ملخص القصة ، والجدال الذي دار بين موسى و الخضر عليهما السلام ، وقد اشتملت على آداب رفيعة ، ودعوة لطلب العلم والاستزادة منه ، وآداب للعالم و المتعلم مما لا يتسع ذكره في هذا المقام^(١) .

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٤٥٦ ، ينظر : الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ٣ / ٦٠١ ، ٦٠٦ .

المطلب الرابع : جدال بين فقير صابر و غني كافر .

قال تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرِنًا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣))^(١) .

إن المقصود من هذه الآيات أن الكفار افتخروا بأموالهم و أنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى أن ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنيا و الغني فقيرا ، أما الذي يجب حصول المفاخرة به في طاعة الله وعبادته و هي حاصلة لفقراء المؤمنين و بين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية^(٢) .

معنى قوله تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا) أي : بستانين من أعناب محفوفين بالنخيل ، وفي خلالهما الزروع ، وكل ذلك مثمر في عناية الجودة . (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا) الأكل : ثمرها الذي يؤكل ، (وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا) أي : ولم تنقص منه شيئا ، (وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا) أي : الأنهار متفرقة فيهما . (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) أي : يخاصمه و يجادله مفتخرا عليه ، (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) أي : أكثر خدما و حشما وولدا^(٣) .

(١) سورة الكهف ، الآيات : ٣٢ ، ٤٣ .

(٢) الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ٢١ / ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) الرفاعي ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، ١٥ / ٧٤ ، ٧٥ .

(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا) (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧)) أفرد الجنة من حيث الوجود كذلك إذ لا يدخلهما معا في وقت واحد ، وظلمه لنفسه هو كفره و عقائده الفاسدة في الشك في البعث ، وفي شكّه في حدوث العالم ، والكلام فيه اغترار مفرط ، وقلة تحصيل ، كأنه من شدة العجب بها و السرور ، أفرط في وصفها بهذا القول .

(لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ إِنَّ تَرَنَ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤٠)) .

(لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ) أي : اعتراف بالوحدانية و الربوبية ، (وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) أي : هو المعبود وحده لا شريك له . (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ) أي : هلا إذ دخلت جنتك ، (قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ) أي : الأمر ما شاء الله ، وقيل : الكلام مضمر ، أي : ما شاء الله كان ، و قوله : (لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) أي : لا أقدر على حفظ ما لي أو دفع شيء عنه إلا بإذن الله ، (إِنَّ تَرَنَ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا) إن ترني أقل منك ما لا وولدا فتكبرت و تعظمت علي .

(فَعَسَىٰ رَبِّي) فعلل ربي ، (أَنْ يُؤْتِيَنِي) يعطيني في الآخرة ، (خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا) أي : على جنتك ، (حُسْبَانًا) قال قتادة : عذابا ، وقال ابن عباس : نارا ، (مِّنَ السَّمَاءِ) وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكها ، (فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) أي : أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها (أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا) أي : غائرا ، منقطعا ذاهبا ، لا تناله الأيدي ، (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) يعني : إن طلبته لم تجده^(١) .

(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣)) الآية : هذا خبر من الله عز وجل عن إحاطة العذاب بحال هذا الممثل به ، و (يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) : يريد بضع بطن إحداها على ظهر الأخرى ، وذلك فعل المتلهف المتأسف ، وقوله : (خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا) يريد أن السقوف وقعت ، وهي العروش ، ثم

(١) البغوي ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، ٥ / ١٧٢ ، ١٧٣ .

تهدمت الحيطان عليها ، فهي خاوية و الحيطان على العروش ، (وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) قال بعض المفسرين : هي حكاية عن مقالة هذا الكافر في الآخرة ، ويحتمل أن قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة .

(وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ) جماعة ، (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يمنعونه من عذاب الله ، (وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا) ممتنعا ، منتقما أي : لا يقدر على الانتصار لنفسه^(١) .

المطلب الخامس : جدال مؤمن إل فرعون مع قومه .

قال تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُثَلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ

(١) التعالبي ، تفسير التعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ٣ / ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، وينظر: البغوي ، تفسير

البغوي معالم التنزيل ، ١٧٣ / ٥ .

مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيمِ الْعَقَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ لِي إِنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسْتَنْذِرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) (١).

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبيطا من آل فرعون ، قال السدي : كان ابن عم فرعون و قد أسلم سرا من فرعون ، ويقال إنه الذي نجح مع موسى .

قد أصفى فرعون لكلام هذا الرجل المؤمن و استمع منه ما قاله ، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله و قيله ما قال (٢) ، وقال له : (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) . ثم أورد مؤمن آل فرعون ستة حجج أخرى مفصلة لتأييد رأيه فقال تعالى :

١- (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) يعني : فعليه وبال كذبه ، فلا ينبغي أن تقتلوه بغير حجة ولا برهان ، (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا) في قوله و كذبتموه (يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) من العذاب ، يعني بعض ذلك العذاب يصبكم في الدنيا ، ويقال بعض الذي يعدكم فيه أي جميع الذي يعدكم .

٢- (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) يعني : لا يرشد و لا يوفق إلى دينه ، (مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) يعني : الذي عادته الكذب (٣) .

٣- (يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا) ذكرهم ذلك الرجل المؤمن ما هم فيه من الملك ليذكروا الله ولا يتمادوا في كفرهم ، ومعنى ظاهرين : الظهور على الناس و الغلبة لهم و الاستعلاء عليهم ، و الأرض أرض مصر ، (فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا) أي : من يمنعنا

(١) سورة غافر ، الآيات : ٢٨ ، ٤٥ .

(٢) الطبري ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٠ / ٣١١ .

(٣) السمرقندي ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، ٣ / ١٦٦ .

من عذابه و يحول بيننا و بينه عن مجيئه ، وفي هذا تحذير منه لهم من نعمة الله بهم و إنزال عذابه عليهم ، فلما سمع فرعون ما قاله هذا الرجل من النصح الصحيح أخذ يوهم قومه أنه لهم من النصيحة و الرعاية بمكان مكين ، وأنه لا يسلك بهم إلا مسلكا يكون فيه جلب النفع لهم و دفع الضر عنهم ، ولهذا قال تعالى على لسان فرعون : (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) أي : ما أهديكم بهذا الرأي : إلا طريق الحق^(١) .

٤- (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠)) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)) أي : لقد حذر هذا الرجل المؤمن الصالح قومه بأس الله تعالى في الدنيا و الآخرة ، فبدأ بتخويف العذاب الدنيوي (يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ) و التقدير مثل أيام الأحزاب ، ثم فسر قوله : (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ) بقوله : (مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ) ودأب هؤلاء دونهم في عملهم من الكفار و التكذيب و سائر المعاصي ، و الحاصل أنه خوفهم بهلاك معجل في الدنيا ، ثم خوفهم أيضا بهلاك الآخرة ، وهو قوله : (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) و المقصود منه التنبيه على عذاب الآخرة ، (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) يعني : أن تدمير أولئك الأحزاب كان عدلا ، لأنهم استوجبه بسبب تكذيبهم للأنبياء .

ثم خوفهم بالعذاب الآخروي فقال :

٥- (وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُثَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) أي : يا قوم أخشى عليكم عذاب يوم القيامة ، حين ينادي أهل النار أهل الجنة و أهل الجنة ينادي أهل النار ، كما قال تعالى : (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۗ قَالُوا نَعَمْ)^(٢) ، وقال تعالى : (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ)^(٣) .

(١) الشوكاني ، فتح القدير ، ٤ / ٤٨٩ .

(٢) سورة الأعراف ، من الآية ، ٤٤ .

(٣) سورة الأعراف ، من الآية ، ٥٠ .

ومعنى قوله تعالى : (يَوْمَ تُؤْتُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) أي : أنهم إذا سموا زفير النار يفرون هارين ، فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وحدوا ملائكة صفوفا ، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه ، ثم أكد التهديد فقال : (مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) أي : لا تجدون إلى المكان الذي كانوا فيه ، ثم أكد التهديد فقال : (مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) أي : لا تجدون ما نعا ولا عاصما يعصمكم من عذاب الله و يمنعكم فيه ، (وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) أي : من أضله الله ، فلا هادي له غير الله يهدي إلى الصواب و النجاة^(١) .

٦- (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ) أي : ذكرهم قديم عتوهم على الأنبياء ، (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ) يعني : يوسف بن يعقوب من قبل موسى عليه السلام ، (بالبينات) أي : جاءكم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه ، (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ) قال ابن عباس : من عبادة الله وحده لا شريك له ، (حَتَّى إِذَا هَلَكَ) أي : حتى إذا مات أنكرتم بعثة رسول من بعده ، (قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا) أي : أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة ، (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ) أي : مثل هذا الضلال وسوء الحال ، يكون حال من يضلله الله لإسراف في المعاصي ، وارتياب قبله في دين الله ، وشكه في وحدانية الله ووعده ووعيد^(٢) .

(الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ) أي : بالإبطال لها و الرد بغير برهان ولا حجة أتاهم من عند الله ، (كِبُرٌ) جداهم المتضمن لرد الحق بالباطل ، (مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) فالله أشد بغضا لصاحبه ، لأنه تضمن التكذيب بالحق و التصديق بالباطل و نسبته إليه ، وهذه أمور يشتد بغض الله لها و لمن اتصف بها ، وكذلك عباده المؤمنون يمجتنون على ذلك أشد المقت ، موافقة لربهم ، (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) أي : متكبر في نفسه على الحق برده ، وعلى الخلق باحتقارهم ، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه .

(١) الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ٢٧ / ٦١ ، ٦٢ بتصرف .

(٢) البغوي ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، ٧ / ١٤٨ ، وينظر : الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ٢٤

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ) أي : أن فرعون معارضا لموسى ، ومكذبا له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين ، (يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا) أي : بناء عظيم مرتفعا و القصد منه لعلي أطلع ، (أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ آلِهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا) أي : دعواه أن لنا ربا ، وأنه فوق السموات ، ولكنه يريد أن يحتاط فرعون ، ويختبر الأمر بنفسه قال الله تعالى في بيان الذي حملة على هذا القول : (كَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ) فزين له العمل السيئ ، فلم يزل الشيطان يزينه ، وهو يدعو إليه و يحسنه ، حتى رآه حسنا ، ودعا إليه و ناظر مناظرة المحقين ، وهو من أعظم المفسرين ، أي : الحق بسبب الباطل الذي زين له ، (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) الذي أراد أن يكيد به الحق ، ويوهم به الناس أنه محق ، وأن موسى مبطل ، (إِلَّا فِي تَبَابٍ) أي : خسار و بوار ، لا يفيد إلا الشقاء في الدنيا و الآخرة^(١) .

(وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) هذا من تمام ما قاله مؤمن آل فرعون ، أي : اقتدوا بي في الدين ، (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) أي : طريق الهدى ، وهو الجنة .

ثم حذرهم من الافتتان بينهم الدنيا و الاغترار بزخارفها ، فقال تعالى على لسان الرجل المؤمن : (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هُذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) أي : الاستقرار و الخلود ، والناس إما في النعيم و إما في الجحيم^(٢) .

(وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي : من عمل سيئة من شرك أو فسوق أو عصيان لا يجازي إلا بما يسوؤه و يحزنه ، ومن عمل صالحا من أعمال القلوب و الجوارح و أقوال اللسان فأولئك يعطون أجرهم بلا حد ولا عد^(٣) .

(وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) أي : مالكم يا قوم أدعوكم إلى طاعة الله تعالى و عبادته و توحيده هو الدعاء الذي سبب النجاة من النار و دخول الجنة ، و تدعونني إلى الكفر الذي هو سبب في دخول النار . ثم بين الدعوتين الأولى كفر و شرك ، و الأخرى دعوة إلى الإسناد إلى عزة الله تعالى و

(١) ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، د ، ط (دار ابن حزم ، د ، ت) ، ص

١٦٣٧ ، وينظر : السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٧٠٤ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٨ / ٣٦٠ .

(٣) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٧٠٥ .

غفرانه .

(تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقَّارِ) أي : تدعونني لأمر خطير هو الكفر بالله و الإشراف في عبادته ، (مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) ليس معناه أني جاهل به ، بل معناه أن العلم بأن الأوثان و فرعون و غيره ليس لهم مدخل في الألوهية ، وليس لأحد من البشر علم بوجه من وجوه النظر بأن لهم في الألوهية مدخلا ، وأنا أدعوكم إلى الإيمان بمن اتصف بصفات الألوهية ، من العزة والقدرة والغلبة والعلم و المغفرة ، فهو القوي في انتقامه ممن كفر ، الغفار لذنب من ءامن به وتاب إليه ^(١) .

(لَا جَزَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ) أي : حق وثبت أن الذي تدعونني إليه من عبادة الأصنام ليس له دعوة توجب الألوهية لأنها لا تسمع و لا تبصر ، ولا تنفع ولا تضر ، وقال الكلبي : ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة . وكان فرعون أولا يدعو الناس إلى عبادة الأصنام ، ثم دعاهم إلى عبادة البقر ، فكانت تعبد ما كانت شابه ، فإذا هرمت أمر بذبحها ، ثم دعا بأخرى تعبد ، ثم لما طال عليه الزمان قال : أنا ربكم الأعلى .

(وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) أي : مرجعنا و مصيرنا إلى الله ، وكون المسرفين الذين تعدوا حدود الله ، وقال قتاة و ابن سرين : هم المشركين ، وقال مجاهد : السفهاء السفاكون الدماء بغير حق ، هم أصحاب النار ^(٢) .

(فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۗ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) أي : ستعرفون إذا نزل بكم العذاب ، وتعلمون أن ما أقول لكم من النصيحة أنه حق ، (وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) يعني : أمر نفسي إلى الله ، وادع تدبيره إليه ، (إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) يعني : عالم بأعمالهم وبشواهم ، فأرادوا قتله فهرب منهم فبعث فرعون في طلبه فلم يقدروا عليه .

(فَوَقَّاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوا ۗ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) أي : دفع الله عنه شر ما أرادوا ، ونزل

(١) ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ص ١٦٣٨ بتصرف .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٨ / ٣٦٢ ، ٣٦٣ بتصرف .

بآل فرعون شدة العذاب وهو الغرق في الدنيا ، وأما في الآخرة عذاب النار^(١) .

المطلب السادس : جدال اليهود و النصارى في إبراهيم عليه السلام .

قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨))^(٢) .

ينكر الله تعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل ، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم ، كما قال محمد بن إسحاق بن يسار : حديثي محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، حديثي سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : اجتمعت نصارى نجران و أحرار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعوا عنده ، فقالت الأحرار ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا^(٣) ، فأنزل الله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) .

أيها اليهود لم تتنازعون في إبراهيم عليه السلام ، وكيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديا ، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى ، وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيا ، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ، ولهذا قال : (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ، أن المتقدم على الشيء لا يكون تابعا له ، وأفلا تعقلون ضعف حججتكم وانهارها وبطلان قولكم ؟

ثم قال : (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به ، فإن اليهود و النصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد صلى الله

(١) السمرقندي ، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، ٣ / ١٦٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيات : ٦٥ ، ٦٨ .

(٣) السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، لباب النقول في أسباب النزول ، ط ١ (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) ، ص ٥٧ .

عليه وسلم لكان أولى بهم ، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به ، فأنكر الله عليهم ذلك ، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب و الشهادة ، الذي يعلم الأمور على حقائقها^(١) .

ثم قال تعالى : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) نتيجة للاستدلال إذ قد تححص من الحجة الماضية أن اليهودية و النصرانية غير الحنيفية ، وأن موسى و عيسى عليهما السلام لم يخبرا بأنهما على الحنيفية ، فأتج أن إبراهيم لم يكن على حال اليهودية أو النصرانية ، (وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أفاد الاستدراك بعد نفي الضد حصرا لحال إبراهيم فيما يوافق أصول الإسلام ، ولذلك بُيّن حنيفا بقوله : مسلما لأنهم يعرفون معنى الحنيفية ولا يؤمنون بالإسلام ، فأعلمهم أن الإسلام هو الحنيفية ولا يؤمنون بالإسلام ، (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) فنفي عن إبراهيم موافقة اليهودية ، وموافقة النصرانية ، وموافقة المشركين ، وإنه كان مسلما ، فثبت موافقته للإسلام^(٢) .

قال تعالى : (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) أي : إن أخصهم به و أقربهم للذين اتبعوا ملته و اقتدوا بدينه ، (وَهَذَا النَّبِيُّ) يعني : محمد صلى الله عليه وسلم ، أفردته بالذكر تعظيما له و تشريفا ، وأولويته صلى الله عليه وسلم بإبراهيم من جهة كونه من ذريته ، ومن جهة موافقته لدينه في كثير من الشريعة المحمدية (وَالَّذِينَ آمَنُوا) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم^(٣) .

المطلب السابع : جدال خولة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها أوس .

قال تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ نَحْوَكُ مَا ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مِمَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۗ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ۗ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ۗ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۗ ذَلِكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٥٨ ، ٥٧ / ٢ .

(٢) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ٣ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٣) الشوكاني ، فتح القدير ، ٣٥١ / ١ .

وَرَسُولِهِ ۖ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١) .

وقال الأعمش عن تميم ، عن عروة ، عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم : (قد سمع الله تعالى قول التي تجادلك في زوجها)^(٢) .
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ) يا محمد ، (قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) والتي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها امرأة من الأنصار اسمها خولة بنت ثعلبة ، (وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) أي : تشتكي المجادلة ما لديها من الهم بظهار زوجها منها إلى الله ، وتسأله الفرج ، (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) يعني : تحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة خولة ، (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) أي : إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه ، وغير ذلك من كلام خلقه ، بصير بما يعملون ، ويعمل جميع عبادته . ومجادلة خولة بنت ثعلبة فيها معنى المراجعة و المحاورة والشكوى والضراعة إلى الله أن يخفف عنها وطأة ما وقعت فيه هي وزوجها بحكم لا ضرر فيه عليها .

(الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّنْ نَسَأْتُهُمْ مِمَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ) فيقولون لمن : أنتن علينا كظهور أمهاتنا ، وذلك كان طلاق الرجل امرأته في الجاهلية ، (مِمَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ) أي : ما نسأؤهم اللائي يظاهرون منهم بأمهاتهم ، فيقولوا لمن : أنتن علينا كظهر أمهاتنا ، بل هن لهم حلال ، (إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ) لا اللائي قالوا لمن ذلك ، (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) أي : وإن الرجال ليقولون منكرا من القول الذي لا تعرف صحته ، وزورا يعني : كذبا ، (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ) أي : إن الله لذو عفو وصفح عن ذنوب عباده إذ تابوا منها وأنابوا ، غفور لهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة^(٣) .

(وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) يعني : والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالإسلام ، ثم يعودون لمثله ، فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يمسه المظاهر منها لا تحل له مسها إلا بعد تقديم الكفارة ، (ذَلِكَمُ تُوعَظُونَ بِهِ) لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية ،

(١) سورة المجادلة ، الآيات : ١ ، ٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (وكان الله سميعا بصيرا) ، ١ / ١٢٧١ .

(٣) الطبري ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٧ / ٢٣٧ ، ٢٣٩ بتصرف .

فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظاهر و تخافوا عقاب الله عليه ، (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) من الوفاء و غيره^(١) .

(فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ) يعني : من لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين لا يفصل بينهما ، (مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسًا) يعني : من قبل أن يمس كل منهما صاحبه ، (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) يعني : فعليه في قول أهل المدينة لكل مسكين صاع من الحنطة أو التمر ، وكل صاع فهو مدان وكل مد منوان وكل من رطلان وكل رطل عشرون إستارا وكل إستارا ستة دراهم ونصف فيكون كل صاع ألفا وأربعين درهما^(٢) ، وفي قول أهل العراق منوان من حنطة أو صاع من التمر ، (ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) يعني : لتصدقوا بوحداية الله ، (وَرَسُولِهِ) وتصدقوا برسوله ، (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) يعني : هذه فرائض الله و أحكامه ، (وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعني : الذين لا يؤمنون بالله و رسوله لهم عذاب أليم .
المطلب الثامن : جدال المنافقين للمؤمنين .

١ - قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥))^(٣) .
(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) أي : إذا نهي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض ، وهو العمل بالكفر والمعاصي ، ومنه إظهار سرائر المؤمنين لعدوهم وموالاتهم للكافرين^(٤) ، (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) أي : إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين و الكافرين ، لكن الله المطلع على ضمائرهم وما تخفي صدورهم ، كذبهم بقوله تعالى : (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) أي : إن هذا الذي يعتمدونه ، ويزعمون أنه

(١) الزخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ٣ / ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٢) الكفومي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، كتاب الكليات ، تحقيق : عدنان درويش ؛ محمد المصري ، د ، ط بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) ، ١ / ٨٥٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآيات : ١١ ، ١٥ .

(٤) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٢٩ .

إصلاح ، إنما هو عين الفساد ، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادا .

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ) وكان المسلمون ينصحونهم ، ويدعونهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه

ورسله والبعث والجنة والنار وغير ذلك ، إيمانا حقيقيا ، (قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ) يقصدون

بالسفهاء أصحاب الرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : أنصبح وهؤلاء .. في منزلة واحدة وهم

سفهاء ؟ وقد تولى الله سبحانه جوابهم فقال : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) أي : لا

يعلمون حالهم الدالة على ضلالهم وجهلهم^(١) .

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) يعني : إذا رأوا المؤمنين أعلنوا إيمانهم ، (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) أي : إذا رجعوا إلى رؤسائهم وكبرائهم وقادتهم قالوا : إنا معكم على دينكم

وأنصاركم ، (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) أي : بمحمد وأصحابه . (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)

أي : يجازيهم جزاء استهزائهم ، وقيل : الله يوبخهم ويعرضهم ويخطيء فعلهم ، لأن الاستهزاء والسخرية

عند العرب العيب والتجهيل .

وقال ابن عباس : هو أن الله يطلع المؤمنين يوم القيامة وهم في الجنة على المنافقين وهم في النار ، فيقولون

لهم : أتحبون أن تدخلوا الجنة ، فيقولون : نعم ، فيفتح لهم باب من الجنة ، ويقال لهم : ادخلوا فيسحبون

ويتقبلون في النار ، فإذا انتهوا إلى الباب سد عليهم ، وردوا إلى النار ويضحك المؤمنون منهم^(٢) ، فذلك

قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ (٣٠) وَإِذَا

انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ (٣٢) وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ

(٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤))^(٣) .

٢- قال تعالى (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْقِي الْجُمُعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ(١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ

وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ۚ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۚ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ

(١) الرفاعي ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، ٢٩ / ١ .

(٢) التعلبي ، الكشف والبيان المعروف بتفسير التعلبي ، ١٥٨ ، ١٥٥ / ١ .

(٣) سورة المطففين ، الآيات : ٢٩ ، ٣٤ .

مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنِّي أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) (١) .

أشار الله تعالى معزيا ومسليا إلى أن كل ما أصابكم أيها المؤمنون يوم التقاء الجمعان : جمع المسلمين ، وجمع المشركين في أحد ، فيأذن الله وإرادته وقضائه وقدره ، وله الحكمة في ذلك ، منها يعلم الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلوا ، ويعلم المنافقين أصحاب عبدالله بن أبي بن سلول الذين رجعوا معه في الطريق ، وكانوا ثلاثمائة رجل ، هؤلاء المنافقون إذا دعوا إلى القتال في سبيل الله أو الدفاع عن النفس و الأهل و الوطن ، أجابوا لو نعلم أنكم تلقون قتلا في غزوتكم لاتبعناكم وسرنا معكم ، ولكننا نعلم أنكم لا تقتلون ، وهذا يدل على تأصل النفاق في قلوبهم .

إنهم بمقاتلتهم هذه : (لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا) أقرب إلى الكفر يومئذ منهم إلى الإيمان ، لظهور القرائن و الأمارات برجوعهم و تصميمهم على إيقاع الهزيمة بالمسلمين ، وإنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته ، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، وهذا شأن المنافقين ، ولهذا قال تعالى : (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) من الكفر والكيد للمسلمين (٢) .

(قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَاكُمْ) وصفهم الله تعالى بأنهم كما قعدوا واحتجوا لعودهم ، فكذلك ثبطوا غيرهم واحتجوا لذلك ، فحكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا لإخوانهم إن الخارجين لو أطاعونا ما قتلوا ، فخوفوا من مراده موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في محاربة الكفار بالقتل لما عرفوا ما جرى يوم أحد من الكفار على المسلمين من القتل ، لأن المعلوم من الطباع محبة الحياة فكان وقوع هذه الشبهة في القلوب يجري مجرى ما يورده الشيطان من الوسواس (٣) .

(١) آل عمران ، الآيات : ١٦٦ ، ١٦٨ .

(٢) الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، ٤ / ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ٩ / ٨٩ .

فرد الله تعالى عليهم ، قل يا محمد لهم : ادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ، لأن الحذر لا يغني
عن القدر^(١) .

(١) البغوي ، تفسير البغوي معالم التنزيل ، ٢ / ١٣٠ .

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم علي نعمته ببلوغ الخاتمة في هذه الرسالة التي سلطت فيها الضوء على موضوع " الجدل بين المدح والذم في القرآن الكريم " عسى أن تسهم في إضافة مفيدة إلى الدراسات السابقة في هذا المجال ، وأود في نهاية المطاف أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها:

١ - هناك فرق بين الجدل والحوار والمحاجة والمناظرة والمكابرة .

٢ - اختلاف أسلوب الحوار مع كل فئة من المخاطبين ، و اختلفت طريقة الدعوة إلى الله بما يناسب أحوالهم ، والأصل فيه أن يكون بالتي هي أحسن إلا إذا كان المحاور معاند يحتاج إلى القوة مع استخدام الأدلة العقلية والحسية كلما لزم الأمر .

٣ - حوار القرآن ركز على الأحداث التي جرت بين الأنبياء وأقوامهم والمعجزات التي أظهرها لهم .

٤ - من إعجاز القرآن تنوع الأساليب البلاغية للجدل القرآني .

التوصيات :

١ - إرشاد من طلب الحق بهذه الطريقة طريقة الجدل مع الغير باستعمال الأدب والتباعد عن الأسباب المانعة من شغب وشتيم وظلم وعناد وغيره .

٢ - عقد دورات علمية هادفة لإعداد دعاة مؤهلين للحوار ، يملكون القدرة على الإقناع والرد خاصة في مواجهة المشككين من أعداء الله .

٣ - المسلم بحاجة إلى معرفة أصول هذا العلم لأن طبيعة الإنسان الجدل ، ولأن المحاورة والمجادلة تقع منه بصفة متكررة مع من يخالفه . أسأل الله أن يوفقني و إخواني المسلمين إلى التزام أصول هذا العلم وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ينفعني و إخواني المسلمين بما جمعته من أصول هذا العلم ، و إن أصبت فمن الله ، و إن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
٩٤	١٥، ١١	(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) .	
٤٦	٢٢، ٢١	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .	
١٧	٣٠	(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) .	
٦٥	٥٦، ٥٥	(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .	
٦٨	١٤٣	(وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ) .	
٦٩	١٤٤	(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) .	البقرة
٦٩	١٥٠، ١٤٩	(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) .	
٣٥	٢٥٥	(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) .	
٥٢	٢٥٨	(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) .	
٢٦	٢٦٠	(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .	
٥٠	٢٦٠	(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .	
٦٤	٦١	(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) .	آل عمران

٧٥	٦٢	(إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) . (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .		
٢٤	٦٦	(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَاللَّهُ وَلِيُّ		
٩٠	٦٨، ٦٥	الْمُؤْمِنِينَ) . (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّعَى إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .		
٩٥	١٦٦، ١٦٨	(الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .		
٦٣	١٨٣	(وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا		
٤٧	١٩١	بِاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) .		
٣٢	٨٢	(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ لَوْحَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) .	النساء	
٧٠	٣	(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ذَلِكَمُ فِسْقٌ) .		
٧٥	٣١، ٢٧	(وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ فَأَصْبَحَ مِنَ	المائدة	
٣٦	٧٢	النَّادِمِينَ) . (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) .		
٢٥	٧٩، ٧٨	(قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ		
٧١	١٢١	لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) .		
٣٤	١٣٠	(أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يُفَصِّحُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي) .	الأنعام	
٧٢	١٣٦	(وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) .		
٣٢	١٤٤، ١٤٣	(ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي		
٧٠	١٦٣، ١٦٢	الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) . (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) .		
١٨	١٢	(خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) .		
٨٧	٤٤	(وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا	الأعراف	

		رُبْنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ). (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) .		
٨٧	٥٠			
٤٨	٥٩	(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ..... يَوْمَ عَظِيمٍ) .		
٥٦	١٠٤،١٠٨	(وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ..... فَإِذَا هِيَ بَيْنَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ) .		
٥٧	١٠٩	(قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) .		
٣٥	١١٥	(قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْتَمِينَ) .		
٥٨	١٢٧	(قَالَ سَنَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ قَاهِرُونَ) .		
٥٨	١٣٢	(وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ..... بِمُؤْمِنِينَ) .		
٦٤	١٥٨،١٥٧	(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ..... لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) .		
٥٨	٩٢، ٩٠	(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ..... عَن آيَاتِنَا لَعَافِلُونَ) .	يونس	
٤٧	٢٦، ٢٥	(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ..... عَذَابَ يَوْمِ الِيمِّ) .		
٤٨	٢٧	(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ..... بَلْ نَحْنُكُمْ كَاذِبِينَ) .		
٤٩	٣١، ٢٨	(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ..... إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) .		
٥٣	٦٥، ٦١	(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا..... وَعَدُّ عَيْرٍ مَكْدُوبٍ) .		
٧٧	٧٦، ٧٤	(فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ..... عَذَابٌ عَيْرٌ مَرْدُودٍ) .	هود	
	٨٣، ٧٧	(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا..... مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ) .		
٥٥	٨٧	(أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) .		
٣٤	١١٨	(لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) .		
١	١١٩			

٢٩	٣	(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) .		
٣٠	١١٠	(حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا..... عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) .	يوسف	
٤٧	٤	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) .	إبراهيم	
٦٣	٦	(وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) .	الحجر	
٣٥	٣٠	(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) .		
٤٥	٧٨	(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ.... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .		
٦٨	١٠١	(وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) .		
٧٢	١١٧، ١١٦	(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ..... وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .	النحل	
١٩	١٢٥	(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ..... بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ) .		
٢١	١٢٥	(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ..... بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ) .		
٢٤	٣٦	(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ..... مَسْئُولًا) .		
١٤	٨٨	(قُلْ لَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ..... لِبَعْضِ ظَهِيرًا) .	الإسراء	
30	١٠٥	(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) .		
٨٢	٤٣، ٣٢	(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ..... وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا) .		
١	٥٤	(وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) .	الكهف	
١٩	٥٦	(وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) .		
79	78، ٦٠	(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ... مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) .		
٣٧	٣٦	(وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) .	مریم	
٥١	٤٨، ٤١	(وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ..... رَبِّي شَقِيًّا) .		
٤٠	٥	(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) .	طه	
٣٨	٤٨، ٤٣	(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى..... كَذَّبَ وَتَوَلَّى) .		

٣٩	٤٧	(وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ اهْدَى)		
٣٩	٤٨	(إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى)		
٢٦	٤٩	(قَالَ فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى) .		
٢٦	٥٠	(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) .		
٥٨	٥٩	(قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ النَّاسُ ضُحَى) .		
٦٢	٥٩	(قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ النَّاسُ ضُحَى) .		
٥٨	٧٣، ٦٠	(فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)		
٤٠	١١٠	(ولا يحيطون به علماً) .		
٦٢	٥	(فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ) .		
٣٢	٢٢	(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ عَمَّا يَصِفُونَ) .		
٢٣	٣٢، ٣٠	(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عن آيتنا معرضون) .	الأنبياء	
٤٦	٣٢، ٣٠	(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا عن آيتنا معرضون)		
٢٤	٣	(وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ مَرِيدٍ) .	الحج	
٦٥	٧، ٥	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ... ابْعَثْ مَنْ فِي الْقُبُورِ) .		
٣٦	٣٥	(أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ) .	المؤمنون	
٦٠	٨، ٤	(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ رَجُلًا مَسْحُورًا) .		
٦١	١٠	(تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا) .	الفرقان	٨٦
٦١	٢٠	(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) .		
١	٣٠	(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) .		
٤٨	١١٠، ١٠٥	(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)	الشعراء	

٤٩	١١١	(قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَزْدَلُونَ) .		
٥٥	١٧٣، ١٦٠	(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ..... فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ)		
٥٩	٢١٤	(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) .		
٣٦	٣	(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) .		
٥٧	١٢	(وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) .		
ح	١٩	(وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ..... فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) .	النمل	
٣٥	٢٠	(مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ) .		
٥٦	٥٦	(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ يَتَطَهَّرُونَ) .		
٣٥	٦٤	(أَعْلَةٌ مَعَ اللَّهِ) .		
٣٧	٢٠، ١٩	(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ..... إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .		
١٩	٤٦	(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) .	العنكبوت	
٦١	٤٨	(وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ..... الْمُبْطُلُونَ) .		
١	٧١، ٧٠	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ... فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) .	الأحزاب	
٤٠	١٠	(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) .	فاطر	
٦٧	٧٩، ٧٨	(وَضُرِبَ لَنَا مَثَلًا..... وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) .		
٣٣	٨١، ٧٨	(وَضُرِبَ لَنَا مَثَلًا..... وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) .	يس	
٦٨	٤٢	(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ..... إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) .		
٦٨	٤٢	(الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى)	الزمر	
٨٥	٤٥، ٢٨	(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ..... سُوءُ الْعَذَابِ) .		
٦٢	٧٨	(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) .	غافر	
٤٠	١١	(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) .	الشورى	
٤٩	١١	(لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَّحُونَا إِلَيْهِ) .	الأحقاف	

٦٢	٥٢	(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.....بِحُنُوقٍ) .	الذاريات
٢٦	٣، ١	(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).	المجادلة
٩٢	٤، ١	(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ..... وللكافرين عذاب أليم) .	
٦٠	٤٥، ٤٤	(ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين) .	الحاقة
٣٤	٤٠	(أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) .	القيامة
٤٥	١٦، ٦	(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا..... وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) .	النبأ
٤٦	١٦، ٦	(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا..... وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا) .	
٢٦	٢٤	(فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) .	النازعات
٩٥	٣٤، ٢٩	(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ..... مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) .	المطففين
٤٦	١٩، ١٧	(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ.....وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)	الغاشية
٤٥	٢١، ١٧	(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ..... فَذَكَرَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ) .	
٧٠	٢	(فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) .	الكوثر

فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
١	<p>جاء العاقب والسيد صاحبنا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنا فلا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالاً: إنا نعطيك ما سألتنا، وأبعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: (لا يبعث معكم رجلاً أميناً حق أمين) . فاستشرف ، له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (قم يا أبا عبيدة من الجراح) فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا أمين هذه الأمة) .</p>	البخاري	صحيح ، ٧٤٣/١ رقم الحديث ١٠٧٤ .	٦٤
٢	<p>(فإن خير الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار)</p>	ابو يعلي في مسنده (١) (٣٤٢) من حديث ابن مسعود	صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٨/١) رقم الحديث ٥٨٢	١

ح	صحيحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٠١/١ ، رقم ، الحديث . ٤١٤	الترمذي ، ٤٤٥/٣٥ ، رقم الحديث . ١٩٥٤	(من لا يشكر الناس لا يشكر الله) .	٣
٥١	صحيح ، ٥٦٥/١ رقم الحديث ٣٣٧٢	البخاري	(نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبث في السجن طول لبث يوسف لأحبت الداعي .	٤

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

- ١- الأشقر، محمد سليمان عبد الله. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. زبدة التفسير. الأردن: دار النفائس، ط ٢.
- ٢- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب. د،ت. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز. مكتبة نزار مصطفى الباز، د،ط.
- ٣- الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. بيان المختصر شرح مختصر ابن حاجب، تحقيق: محمد مظهر بقا. دار المدني، د،ط.
- ٤- الألمعي، زاهر عواض. د،ت. مناهج الجدل في القرآن الكريم. مطابع الفرزدق التجارية، د،ط.
- ٥- بدوي، أحمد أحمد. ٢٠٠٥م. كتاب من بلاغة القرآن. الفجالة- القاهرة: شركة ههضة مصر، د،ط.
- ٦- البغوي، الحسن بن مسعود. ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. تفسير البغوي معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر؛ وعثمان جمعة ضميرية؛ وسليمان مسلم الحرش. الرياض: دار طيبة، ط ١.
- ٧- التومي، محمد. د،ت. الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية. الجزائر: شركة الشهاب، د،ط.
- ٨- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. د،ت. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض؛ وعادل أحمد عبد الموجود. بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي، د،ط.
- ٩- الثعالبي، أحمد أبو إسحاق. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعالبي، تحقيق أبي محمد بن عاشور. بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي، ط ١.
- ١٠- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف. د،ت. معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي. دار الفضيلة، د،ط.
- ١١- الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. الكافية في الجدل، تحقيق: فوقية حسين محمود. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د،ط.
- ١٢- ابن الحنبلي، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري. ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. استخراج الجدل من القرآن الكريم، تحقيق: محمد بن صبحي بن حسن حلاق. بيروت- لبنان دار الريان، ط ١.
- ١٣- أبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود؛ وعلي محمد معوض. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١.

- ١٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي. صيدا- بيروت: المكتبة المصرية للطباعة والنشر، ط٢.
- ١٥- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة، د، ط.
- ١٦- الرازي، فخر الدين. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب. دار الفكر العربي، ط١.
- ١٧- ابن رشد، ابو الوليد محمد بن أحمد بن محمد. ١٩٨١م. فصل المقال فيها بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة. المؤسسة العربية وللدراسات والنشر، ط٢.
- ١٨- الرفاعي، محمد نسيب. ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير. الرياض: مكتبة المعارف، د، ط.
- ١٩- الزحيلي، وهبة. ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق- سورية: دار الفكر، ط٢.
- ٢٠- الزركشي، بدر الدين محمد عبد الله. د، ت. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار التراث، د، ط.
- ٢١- الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر. ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود؛ والشيخ علي محمد عوض. الرياض، مكتبة العبيكان، ط١.
- ٢٢- أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى أحمد. ١٩٣٤م. تاريخ الجدل. دار الفكر العربي، ط١.
- ٢٣- أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى أحمد. د، ت. المعجزة الكبرى القرآن. دار الفكر العربي، د، ط.
- ٢٤- زيدان، عبد الكريم. ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م. أصول الدعوة. بيروت- لبنان: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١.
- ٢٥- السبحاني، جعفر. د، ت. الأمثال في القرآن الكريم. مؤسسة الإمام الصادق، د، ط.
- ٢٦- السعدي، عبد الرحمن ناصر. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت- لبنان: دار بن حزم، ط١.
- ٢٧- سلامة، محمد علي. ٢٠٠٢م. منهج الفرقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد سيد أحمد المسير. مصر: دار النهضة للطباعة والنشر، ط١.

- ٢٨- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق: علي محمد عوض؛ وعادل أحمد عبد الموجود؛ وذكريا عبد المجيد النوتي. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ط١.
- ٢٩- سيد قطب ، إبراهيم حسين الشاذلي . ١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٣م . كتاب في ظلال القرآن . دار الشروق ، ط٣٢ .
- ٣٠- السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م . لباب النقول في أسباب النزول . بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ .
- ٣١- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٤٢٦هـ. الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١.
- ٣٢- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. د،ت. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. عالم الكتب، د،ط.
- ٣٣- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي. القاهرة: دار هجر، ط١.
- ٣٤- ابن عاشور، محمد الطاهر. د،ت. تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، د،ط.
- ٣٥- العثمان، حمد بن إبراهيم. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة. الكويت- الفحيحيل: مكتبة ابن القيم، ط١.
- ٣٦- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي. د،ت. المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز. دار ابن حزم، د،ط.
- ٣٧- ابن العلوي، يحيى بن حمزة. د،ت. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. مصر: مطبعة المقتطف، د،ط.
- ٣٨- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. ١٣٨٩هـ - ١٢٦٩م. مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون. مصر: مصطفى الباي الحلبي، ط٢.
- ٣٩- فضل الله، محمد حسين. ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. الحوار في القرآن قواعده - أساليبه - معانيه. بيروت - لبنان: دار الملاك، ط٥.

- ٤٠- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. ١٣٧٥هـ - ١٩٣٨م. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، د، ط.
- ٤١- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله من المحسن التركي. بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة، ط ١.
- ٤٢- القطان، مناع. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م. مباحث في علوم القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢.
- ٤٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، د، ط.
- ٤٤- الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة، د، ط.
- ٤٥- لاشين، عبد الفتاح. ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م. البديع في ضوء أساليب القرآن. القاهرة: دار الفكر العربي، د، ط.
- ٤٦- لعساكر، يوسف عمر. د، ت. رسالة الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته. جامعة الجزائر، د، ط.
- ٤٧- المباركفوري، صفي الرحمن. د، ت. الرحيق المختوم. دار إحياء التراث، د، ط.
- ٤٨- مصطفى، محمود السيد حسن. ١٩٨١م. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية. مؤسسة شباب الجامعة، ط ١.
- ٤٩- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم. د، ت. لسان العرب. دار المعارف، د، ط.
- ٥٠- نقرة، التهامي. ١٩٧١م. سيكولوجية القصة القرآنية رسالة دكتوراة. جامعة الجزائر: الشركة التونسية للتوزيع والنشر، د، ط.
- ٥١- يوسف، عبد الكريم محمد. ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه، إعرابه. دمشق: مكتبة الغزالي، ط ١.